دراسات في أصول الدين

المعاد يوم القيامة

دراسة معاصرة

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي



دراسات في أصول الدين

المعاد يوم القيامة

دراسة معاصرة

تأليف
السيد أبو القاسم الديباجي

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

قال أبو عبد الله عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينكم فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب؛ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

عَن إمامِ العارِفينَ

أمِيرِ المؤمِنِين (ع)

الْعِلْمُ نَهْرٌ

وَالْحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالْعُلَماءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالْحُكَماءُ وَسَطَ البَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالْعَارِفُونَ في سُفُنِ النَّجاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي لملا محمّد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العِلم

الاهداء

إلى الروضة العبقة المضخمة بأريج الجنان

إلى الشجرة النبوية الوارفة الظلال، والمغدقة الثمار

إلى مستودع أسرار النبوة، ومربع كيان الإمامة

إلى أم أبيها وابنة خاتم الانبياء، وزوجة خير الأوصياء، ووالدة الأئمة الأطهار

إلى صوت الإمامة الصادح، وكلمة الحق الصارخة في ليل الظلم وحلكته الدامسة

إلى البضعة الطاهرة والأمانة الكبرى والحق المضيع

إلى الزهراء فاطمة، سيدة نساء العالمين أهدي

هذا الجهد المتواضع...

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمـد لله أبلـغ الحمد وأجزله، وأعظم الثناء وأفضله، حمـداً لا يرقى اليه حمد، ولا يدرك أدناه أوفر حمد، لله رب العالمين.

والصلاة والتسليم على النبي الأمين، والرحمة المهداة إلى العالمين، محمد بن عبدالله ﷺ وعلى أهل بيته الأمناء المعصومين، والهداة المنتجين ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فليس بخاف على القارئ الكريم ما يشـكله مبحث المعاد والبعث بعد الموت للحسـاب والمسـاءلة يـوم القيـام مـن قضيـة فكرية بـدت – رغم وضـوح أبعادهـا، وبيـان شرائطها لـدى عمـوم الناس، وبالاخـص منهـا أتبـاع الديانات السـماوية المختلفة – من المسـائل التي كانت وما زالـت من القضايا الفكرية التي اسـتلزم بحثها ومناقشـتها الكثير من البحث والمجادلة، والمحاجة والمناظرة مع جملة من الشرائـح المختلفـة التـي لا يخلو منها زمـان، والتي تُعطل بلا أدنى شـك التفكير والاسـتدلال العقلي رغم ادعائها وتبجحها بارتكاز دعواها على هذين الأميرين، فتبدو بوضوح محشورة في المضيق وتائهة في المفازة الكبرى، لا تجد لها منفذاً تنساب منه، ولا سبيلاً فتسلك خطاه، فهي باطلة في دعواها، ساقطة في مدعياتها، فاشـلة في موافقها، وهو أمر بيّن واضح لمن استرشـد بها وهبه الله تعالى من العقل والهدى الذي ينجو به العقلاء وذوي الألباب.

ولا يخفـى عـلى القارئ الكريم تفاهمه هـذه الدعاوي، ووضوح بطلانها، حيـث يكفية مجرد التأمل العقلي البسـيط الذي يقوده إلى التسـليم القطعي بحتمية البعث والمعاد، ناهيك عما لا عد له ولا حضر من الادلة النقلية التي لا تدع منفذ شـك إلا وأوصدتـه، ولا حجة باطلة إلا ودمغتها بالحق، وأبطلتها بالدليل تلو الدليل.

وعموماً فأنا سنحاول في مطاوي كتابنا هذا - الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة دراسات في أصول الدين - التعرض لمطاوي هذا المبحث، ومناقشة أبعاده المختلفة استرسالاً بما عهده منا القارئ الكريم في الأقسام السابقة من هذه الدراسة والمرتبة على مسميات الأصول الخمسة للشريعة الإسلامية الخالدة ونعته بمضمونه: العدل فتكتمل عندها - وبتوفيق الله تبارك وتعالى هذه الدراسة المتسلسلة التي وعدنا القارئ الكريم بها عند تسطيرنا للحلقة منها والمدروجة ضمن العناوين المناطة بها:

١ - العدل

٢ - التوحيد

٣ - النبوة

٤ - الإمامة

٥ - المعاد يوم القيامة

وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم.

تمهيد وتوطئة

قـد يتطرق التسـاؤل إلى أذهان البعـض - أو لعل القليل من هذا البعـض - إلى أهمية المعاد والغاية المبتغاة منه وهو أمر لا غضاضة فيه لمن ابتغى مجرد ادراك الحق لا غيره كما هو واضح ومفهوم.

ولا نرى هنا أن نتناول الأبعاد الخاصة بهذا الأمر - لأنه صلب موضوع كتابنا هذا، وحيث يستلزم ذلك البحث والاستقرار المفصلين، وهو ما ستمكن القارئ الكريم بعد من معرفته وادراكه - قدر ما ابتغينـا الاشـارة العابرة إلى جملـة معطيات مهمة ينبغي أن لا تغرب عن ذهـن القارئ ومخيلته كمدخل للأخذ والعطاء في مطاوي صفحتنا القادمة بإذن الله تعالى.

أقول: لو تأملنا في مجمل العقائد السماوي التي دعا اليها وبُعث فيها الأنبياء والرسلعليهم السلام، منذ خلق البشريـة وإلى أن ختمـوا بالنبي الأكـرم محمد بن عبداللهصلى الله عليه وآله وسلم، لوجدناها تبتـدئ بالتوحيد وتختم بالمعاد، فهـما في الحقيقة يشـكلان الركنان الأساسـيان اللذان تنـدرج ضمنهما باقي الأصـول الاخرى التي لا مناص لأحد من الايمان بها،والتسليم بحقيقتها[1].

فإنـكار مسـألة البعـث والمعـاد يـوم القيامة للحسـاب والجـزاء هي مـن المسـائل والعقـائد الأساسـية التـي يعنـي انكارهـا وعدم الايـمان بها هو انـكار وعدم إيـمان بباقيها، وعلى رأسـها أصل التوحيد.

وفي الإسـلام تجـد تأكيـدا واضحاً على أهمية هذا الأصل بالشـكل الذي لا يُقـارن معه ولا يبقه إلا أصـل التوحيـد، وحيث تبدو هذه الأهميـة في المباحث الكثـيرة والمتعددة، بل ومن خـلال التأكيدات المكررة للقرآن الكريم حول قضية المعاد، والحياة بعد الموت، والحساب والجزاء.

ففي كتاب الله تعالى ما يقارب من ١٢٠٠ آية تتحدث عن المعاد وعن الجزاء والحساب في الآخرة، تبين للبشرية جمعاء ان الحياة ليسـت هي آخر المطاف، وأن المرء يناء جزاء ما قدم في دنياه هذه، إن كان

خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، فإذن ذلك هو المحل الأساسي الذي تظهر من خلاله حقيقة الإنسان، وحقيقة أفعاله وأعماله في حياته.

ما الذي يميز العبد الصالح الذي أمضى حياته في خدمة الناس، والعمل على أقامة حياة العدل والمحبة ونشرهما في الأرض، بل وغير ذلك من الأعمال الصالحة الاخرى، عن المسرف والمجترح للجرائم والمآسي والأفعال السيئة وظلم العباد، والإساءة اليهم، وتدمير حياتهم؟

القانون الوضعي البشري لم ولن ينال أكثر جرائم البشر، بل ولم ولن يعاقب على ما يقع تحت مجهره من تلك الأفعال بما يتناسب وحجمها وآثارها، هذا مع ما يعرفه الجميع من المحاباة والارتشاء والخوف وغير ذلك، مضاف إلى كل ذلك التأثر الكبير بالافكار والاطروحات البشرية المختلفة التي تحكم تلك البلاد وهذه فتجعل هذه بعض الأعمال جريمة تستحق الموت، حين تراها في تلك البلاد عملاً شريفاً يستحق مقترفه الثناء والشكر والتقدير... بل وأين حق الضعفاء والمساكين الذين لا يملكون حولاً لأنفسهم ولا قوة؟ بل.. وبل.. إلى آخر ما يعرفه الجميع ولا يخفى عليهم.

لا شيء سوى عدالة السماء، ولا شيء سوى العدل الالهي، ولا محكمة سوى محكمة السماء، ولا يوم إلاّ يوم الحساب، حيث لا ظلم ولا ضياع حق، انه العدل المطلق، والجزاء الأوفى.

وأخيراً فإننا يمكننا القول بأن الايمان بمسألة المعاد يوم القيامة باعتباره الأصل الخامس من أصول الدين عند الشيعة يعتبر من المسائل التي لا مناص لأحد من معرفتها والايمان بها، لانها شرط الإيمان، والركن الأساسي فيه، وما عدا ذلك فليس سوى الضلال والضياع والخسران المبين، وذلك الأمر ما لا يختلف عليه الجميع دون استثناء كما هو معروف.

قال العلامة الشيخ المظفر رحمه الله تعالى في عقائد الأمامية: نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثبت المطيعين، ويعذب العاصين.

وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص لمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرمﷺ، فإن من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً، ويعتقد كذلك بمحمدﷺ رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث، والثواب والعقاب، والجنة والنعيم، والنار والجحيم، وقد صرح القرآن بذلك، ولمح اليه بما يقرب من ألف آية كريمة.

وإذا تطرق الشك في ذلك إلى شخص فليس لشك يخالجه في صاحب الرسالة، أو وجود خالق الكائنات أو قدرته، بل ليس إلا لشك يعتريه في أصل الأديان كلها، وفي صحة الشرائع جميعها[٢].

وقال الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله تعالى في أصل الشيعة وأصولها: يعتقد الإمامية - كما يعتقد

سـائر المسـلمين – أن الله سـبحانه يعيـد الخلائـق ويحييهم بعد موتهم يـوم القيامة للحسـاب والجزاء، والمعاد هو الشخص بعينه، وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان [٣].

وعموماً فانّا سـنحاول في مطاوي صفحات كتابنا هذا التعرض إلى جملة من الجوانب الخاصة بهذا الأصل، والأمور المتعلقة بها، مستعينين بالله تبارك وتعالى، ومستمدين منه العون، وسائلينه الجزاء يوم الجـزاء، انـه لا يضيع عمـل عامل من ذكر أو أنثى، مرتبين هذا الكتاب الـذي بين يدي القارئ الكريم ضمن جملة من الأقسام التي يمكننا الاشارة اليها بما يلي:

القسم الأول: الدلائل المختلفة لمسألة المعاد.

القسم الثاني: المعاد في القرآن الكريم، والروايات الشريفة.

القسم الثالث: تساؤلات وردود حول المعاد.

القسم الرابع: شواهد وشواخص وعلامات متصلة بالمعاد، ومترفعة عنه.

القسم الخامس: أسماء يوم القيامة، والآثار المعنوية والتربوية المترتبة على الاعتقاد بمسألة المعاد.

القسم الأول

الدلائل المختلفة لإثبات المعاد

الاستقراء في متن القرآن الكريم، وآياته المباركة يظهر بجلاء ووضوح ان الله تبارك وتعالى قد أوضح مسألة المعاد، وأبعادها وما يتصل بها، وقرن جهد الإنسان، وما يقترفه وما يجترحه من أعمال به، وجعل هذا الأمر من الحقائق الكبرى التي تعد بلا أدنى شك من البديهيات والمسلمات البشرية عند إعمال أدنى درجات الفكر والتمحيص، ناهيك عن الاستقراء والتدبر، والاستقراء والاستجلاء.

بل وإن التأمل في مطاوي هذا الكتاب العزيز يظهر أن الطرف المنكر لهذا الأمر خال الوفاض، ساقط الحجة، لا يقول بذلك إلاّ من باب الاستبعاد لا غير، فلا تتصور نفوسهم المريضة أن الله تعالى قادر على أن يحيي العظام، ويعيد اللحم، ويولج الروح في الجسد مرة أخرى.

نعم، فهذه تارة بين منكر لأصل الأمر، واخرى بين مستبعد وغير مقتنع، وفي كل ذلك لا يملك أي دليل منطقي يستدل به، ولا حجة يتذرع بها.

ولنتأمل سوية في بعض تلك الآيات المباركة الكريمة وهي تصف لنا هذا الحال، وتبيّن لنا هذا الأمر.

يقول جل اسمه في سورة الأسراء: **﴿وقالوا أإذا كنّا عظاماً ورفاتاً أإذاً لمبعوثوه خلقاً جديداً﴾**[٤].

وفي سورة سبأ يقول تبارك شأنه: **﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا فرقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد * افترى على الله كذباً أم به جنّة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾**[٥].

وقوله عز من قائل في سورة السجدة: **﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنّا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون * قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾**[٦].

وقوله جل اسـمه في سـورة النمل: ﴿وقال الذين كفروا أإذا كنّا تراباً وآباؤنا إنّا لمخرجون * لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[٧].

وكـذا قولـه تعالى في سـورة المؤمنـين: ﴿وقال المـلأ من قومه الذيـن كفروا وكذّبـوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشـر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشـرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشـراً مثلكم إنّكم إذاً لخاسـرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنّكم تخرجون * هيهـات هيهـات لما توعدون * إن هي إلا حياتنـا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين * إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين﴾[٨].

وقولـه سـبحانه في سـورة الدخـان: ﴿إن هـؤلاء ليقولـون * إن هـي إلا موتتنا الأولـى وما نحن بمنشرين﴾[٩].

وقوله جل اسـمه في سـورية يس: ﴿أوَ لم ير الإنسـان إنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[١٠].

دلائل كبرى في اثبات المعاد

كثيرة ومتنوعة هي الأدلة التي تتعرض إلى هذا الجانب، وهي ما سنحاول لاحقاً بإذن الله تعالى تناولها بالشرح والتفصيل في مطاوي صفحات كتابنا اللاحقة، إلا إنّا سنحاول هنا التعرّض لإيراد خمس من الدلائل الكبرى لإثبات هذا الأمر باعتماد الآيات المباركة التي تشير إليه، والتي تعتبر من الطرق القويمة لاثبات ذلك، والتي تستدعي بالمرء المزيد من التأمل والتدبّر والتفحص:

١ - النشأة الأولى.

٢ - القدرة المطلقة لله تبارك وتعالى.

٣ - إحياء الأرض وبعثها في كل عام.

٤ - خلق الجنين ونموه ومراحل تطور تكامله.

٥ - التطور في علوم الطاقة.

وسنحاول سوية في الصفحات التالية تناول كل واحدة من هذه الدلائل بالشرح والتفصيل بإذن الله تعالى.

الدليل الأول: النشأة الأولى

لا خلاف عند العلماء والمختصين في دراسة علوم الأرض وغيرهم ممن يماثلهم ويتصل بهم، بأن ملايين السنين قد أعقبت انفصال الأرض عن الشمس، لتبرد هذه الأرض وتشكل وفق الوجود الموائم لقيام الحياة على سطحها، من يابسة وبحار ومحيطات، ومن ثم المخلوقات الأخرى، ولتتوج من بعد بالإنسان الممثل بأبي البشر نبينا آدم عليه السلام.

لم يكن آنذاك شيئا مخلوقاً حتى خلق الله تبارك وتعالى هذا الإنسان من تراب، فأصبح بشرياً كما هو عليه الآن، وسيعود بعد موته إلى التراب، أي إلى أصله، ليتحول إلى تراب أيضاً.

إذن فما المانع، أو ما يقف حائلا دون العقل ليؤمن بأن من أوجد هذا الانسان من تراب أول مرة هو بقادر على أن يعيد هذه الكرة مرة اخرى، وهي أيسر وأسهل لتكرر وقوعها وحدوثها آنفاً؟!

نعم، إن هذا المر واضح بين وقديماً قال العلماء المحققون: أدل دليل على إمكان شيء وقوعه، فالإنسان الذي خلق من التراب، وأصبح غذاؤه مما ينبت في التراب، ويتغذى منه، فإن عودته بعد الموت من هذا المصدر أمر لا يشك بمكان وقوعه إنسان عاقل.

ولقد تناول القرآن الكريم هذه المسألة، بوضوح في أكثر من مناسبة ومكان يمكننا الاشارة اليها ضمناً.

فمن ذلك قوله جل اسمه في سورة ق: ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هو في لبس من خلق جديد﴾[١١].

وقوله تبارك وتعالى في سورة الروم: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾[١٢].

وقوله سبحانه في سورة يس: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[١٣].

وقوله عز من قائل في سورة العنكبوت: ﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير﴾[١٤].

وغير ذلك من الآيات المباركة الكريمة، فراجع وتأمل.

الدليل الثاني: القدرة المطلقة لله تبارك وتعالى

ان التسليم العقلي بالصفات الثبوتية لله تبارك وتعالى - وهو ما سلف منّا التعرض اليه مفصلاً في مباحث كتابنا التوحيد - يقودنا إلى القول بهذه القدرة المطلقة له عز وجل، وهي قدرة غير محدودة، وحيث تبدو مصاديق ذلك من خلال التأمل في الكثير من الموجودات المخلوقة كخلق السموات وعظمتها، وما تشتمل عليه من النظم الدقيقة والغريبة، وغير ذلك مما تكرر منّا آنفاً الحديث عنه والتأمل في مضامينه.

وباعتماد هذا المنطق الواضح والسليم نستطيع القول بان وضوح هذا الامر المبيّن للعظمة الرهيبة للمنشىء جل شأنه تقطع بلا أدنى شك يسر وسهولة اعادة الإنسان إلى الحياة مرة اخرى، فليس لذلك الأمر بمعجزها قطعاً، وهو دليل واضح ومعلوم.

ولا غرو في ذلك، فإن هذا الايجاد لا يعد قبال ايجاد وخلق ما نراه من الخلق، ونذهل بعظمته التي نستطيع أن ندركها - وهي بلا مغالاة دون أدنى حقيقتها وواقعها - ونتأمل في ما تتجلى من خلاله عظمة هذا الخالق عز شأنه، وقدرته التي لا تحدها حدود.

واذا كان العقل خير قاطع عليه هذا الأمر، فان ذلك الواقع يسنده الدليل النقلي المقطوع بصحته وصوابه، وهو كتاب الله العزيز - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وهو خير مبيّن وموضح لهذا الأمر ولحقائقه المتصلة به، فالرجوع إلى هذا الكتاب العزيز يظهر بجلاء صواب المنهج الذي أشرنا اليه، بل يبيّن أمام ناظري من خفي عليه الأمر الحقيقة واضحة كالشمس الساطعة، بل ويقيم الحجة على من يكابر ويماطل.

ولنقرأ معاً قوله جلّ اسمه في سورة غافر، حيث يقول وهو أصدق القائلين: **﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾**[١٥].

وقوله تبارك وتعالى في سورة يس: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * هل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[١٦].

وقوله تبارك وتعالى في سورة الأحقاف: **﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾**[١٧].

وقوله سبحانه في سورة العنكبوت: **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾**[١٨].

وغير ذلكما لا يعسر على الباحث المستقرئ ادراكه وتحصيله.

الدليل الثالث: إحياء الأرض وبعثها كل عام

هل تأمل الإنسان في ما يحيطه من مظاهر الاحياء المتكرر للأرض بعد موتها ويبسها، وظهور البوار عليها،بل وهل تأمل في التغيير الكبير المنافر بين الحالتين المتخالفتين، وأنى تتكون الاشكال لهذه البسيطة فتراها في قطبين متباعدين لا يمكن أن تجد بينهما أي خيط أو رابط، فشتان بين ما كانت وما أصبحت، بل وما ستكون عليه.

إنها دورة الحياة، وتنقل وجودها بأمر الله تعالى، وتناقضها القطعي مع الموت، فهناك حياة بعدها مت، هذا الموت تتلوه الحياة، وهذا دواليك.

وهذه الأرض التي يأفل بريقها، وتتردى صحتها، ويعلو الأصفرار أوراقها في فصل الخريف،

فتمسي كالإنسان في أواخر عمره، يذبل ويشيخ ويعلوه الاصفرار، وينتابه النحول والضعف.

ثـم لا تلبث أيام الشـتاء أن تحيل تلك المراعي والجنان المخضرة - التي طواها شـبح الخريف بثوبه وألقهـا مهلهلة متهاوية - إلى عيدان وأخشـاب خاوية يابسـة لا حياة فيها، وتمـسي الأرض بثوبها هذا كالميت في كفنه، لا نفس فيه ولا حراك، فقد انتهى للناظر كل شيء، وانقضى ما كان وكأنه لم يكن.

نعم، ذلك حدس من ينظر بعينيه فحسـب، ولو تسـمرت عيناه في هذا الركام المهمل، وهذه الجثة اليابسـة لأشهر قريبة،لوجد ما يذهله، ولتأمل في ما يحيره... فهذه الأكوام اليابسة تضر، وذلك الركام ينفـض عـن كاهله التراب لينطلق حياً من جديد، وهذه الأرض الميتة تمزق ما أحاطها من كف وتتزين بأجمـل زيـن، وأبهى ثـوب، وتمسي مخضرة الجانـب، مضخمة بأعبـق العطور... أنها الحيـاة مرة أخرى عادت لها، وبعثت من موتها لتعاود مسيرتها من جديد.

بـل وهـل تأمل القـارئ الكريم في ما يلقيه المزارع في أرضه من حبوب يابسـة ميتـة لا حياة ظاهرة فيها، ومن ثم كيف يهيل عليها كالميت التراب، كيف تتحول بعد فترة من الزمن إلى نبات مخضر، وزرع مغدق، وخير عميم.

هذه الحبة من السـنبل كم حبة أصبحت، وهذا الكم القليل من الحبيبات اليابسـة كيف أحال هذه المساحة الشاسعة من الأرض إلى روض جميلة، وإلى حديقة غناء تذهل العقول، وتستهويها النفوس... كيـف تحـول هذا الشـكل الميت، والمظهر الجامد غير الدال على الحياة بأي شـكل من الأشـكال، وبأي مظهـر مـن المظاهـر إلى حياة واخـضرار وازدهار... أنه أمر يسـتدعي بالمـرء مزيد من التأمـل والتدبر لإدراك ما هو أبعد من ذلك والتصاقاً بحياته ونشـأته، وهو ما نقصد به بعثه بعد الموت، وحياته بعد ا لعدم، وخلقه بعد أن أمسى مجرد تراب اختلط بتراب الأرض حتى لم يعد هناك من يميز بعد الأجساد المتهرئة وبين تراب الأرض وصعيدها، فقد أمسى الاثنان واحد ممتزج.

أمثلـة كثيرة، ومشـاهد عديدة لا حـصر لها ولا عد يمكن للمرء تأملهـا وتفحصها، وادراك حقيقة البعـث بعـد الموت، والحياة بعد الهلاك والبوار، وهي خير مصاديق لا تقبل الشـك على مسـألة البعث للإنسـان بعد موته، واحيائه بعد هلاكه، ووقوفه مرة اخرى إنسـاناً سوياً، ينال ثواب ما قدم، وعقاب ما اقترف، اقراراً للحق، وتثبيتاً للمنهج الصواب.

وفي كتاب الله العزيز الكثير من الآيات المباركة التي تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة الكبرى التي لا يمكن أن تغرب عن بال أحد، ولا عن ذهن عاقل، لأن ذلك مما هو مقطوع به، ومسلم به.

فمـن ذلك قوله جل اسـمه في سـورة ق: ﴿**ونزلنا من السـماء مـاء مباركاً فأنبتنا بـه جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج**﴾[١٩].

وقوله عزّ من قائل في سورة الروم: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً حين تظهرون * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾[٢٠].

وكذا قوله جل شأنه في سورة الحج: ﴿يأيّها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج * ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّه يحيي الموتى وأنّه على كلّ شيء قدير﴾[٢١].

وقوله سبحانه وتعالى في سورة فصلت: ﴿ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كلّ شيء قدير﴾[٢٢].

وأيضاً قوله تبارك وتعالى في سورة فاطر: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾[٢٣].

وقوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كلّ الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلّكم تذكرون﴾[٢٤].

الدليل الرابع: خلق الجنين ونموه ومراحل تطوره وتكامله

التأمل القليل في مسألة خلق الإنسان في مراحله الأولى، منذ كونه نطفة حتى ولادته طفلاً متكاملاً، يظهر بجلاء لا يقبل الشك القدرة الإلهية العظيمة التي توجد الحياة من الموت، وتبعث الروح في الأشياء التي لا خلاف بموتها وعدم وجود الحياة فيها.

فالانتقال بين هذه الظلمات المعددة والمبتدئة من النطفة، والتلاحق العظيم في التكوين الخلقي للوصول إلى حالة الخلق العادية المؤدية إلى تكوين هذه الجماعات الرهيبة في البشر، والسائحة في أرض الله تبارك وتعالى، كل ذلك مؤشر على أن مسألة الخلق، ومرادنا هنا ا لبعث، هي من المسائل اليسيرة التي يسلم بها العقل، ويقطع بحقيقة امكانها.

ولنتأمل سوية في بعض ما جاء من الآيات الكريمة في كتاب الله تعالى، والمتحدّثة عن هذه الظاهرة الكبيرة، والتي تبيّن لمن أراد أن يسأل أو يتساءل عن بعض هذه الدلائل المرتبطة بهذا الأمر.

فمـن تلـك الآيات قوله تعالى في سـورة المؤمنين: ﴿ولقد خلقنا الإنسـان من سـلالة من طين * ثم جعلنـاه نطفـة في قرار مكيـن * ثم خلقنا النطفـة علقة فخلقنـا العلقة مضغة فخلقنـا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾[٢٥].

وقوله عز من قائل في سورة عبس: ﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره﴾[٢٦].

وقولـه تبارك وتعالى في سـورة النجـم: ﴿و أن إلى ربك المنتهى * و أنه هـو أضحك و أبكى * و أنـه هـو أمـات و أحيا * و أنه خلق الزوجين الذكـر و الأنثى * من نطفة إذا تمنى * و أن عليه النشـأة الأخرى﴾[٢٧].

وقوله جل شأنه في سورة القيامة: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * أ لم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر و الأنثى * أ ليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾[٢٨].

وقوله سبحانه في سورة الحج: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثـم مـن نطفة ثم من علقة ثم من مضغـة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشـاء إلى أجل مسـمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشـدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾[٢٩].

بـل وغـير ذلك مـــن الآيات المباركـة المتعـددة والمتناثرة في مطـاوي القرآن الكريـم، والتي يمكن للباحـث معرفتها والتأمـل في مضامينها وأبعاد معطياتها المتعلّقة بهذا الجانب من المبحث التي نخوض غماره.

الدليل الخامس: التطور في علوم الطاقة

لعل واحدة من أبرز المظاهر العلمية والعملية التي يمكن من خلالها الاستدلال العلمي على مسألة المعـاد مـا نراه من التطور الهائل في مسـألة دراسـة الطاقـة في العالم، حيث برزت جملـة متعددة وقطعية مـن النتائج الكبرى والحاسـمة التي تقود بالتالي إلى فهم وترسـيم العديد مـن المعطيات التي قد يحاول البعض المكابرة والمعاندة باعتماد غيرها من المؤشرات الاخرى.

نعـم، فمـن تلـك المعطيات الكـبرى التي توصـل لهـا العلم وأثبتهـا بالدليل والبرهـان القطعيين

مسـألة اختزان الأشـجار للطاقة الشمسـية وحرارتها عـلى الرغم من احـتياجا لهـا في عملية المثيل الغـذائي.

فالمعروف والمقطوع به أن الاشـجار في حاجة إلى ضوء وحرارة الشمس، وهذا الفيض المنبعث من الشمس تقوم هذه الأشجار باختزانه في داخلها، وبعد أن تقطع وتموت، ويتمثل أوضح صور ذلك في تيبسـها، وتحولها إلى أخشاب يسـتخدم جملة منه في التدفئة وغيرها في عمليات الاحراق المختلفة، نجد انبعاث الضوء والحرارة منها متركزة في وقت قصير ومحدد.

فإذا كانت خلايا الأشجار تتكون في خلاصتها الحقيقية من الكربون والاوكسجين والهيدروجين، فإن المعروف بأن هذه الأشـجار تسـتقي الاوكسجين والهيدروجين من الماء، حين تحصل على الكربون من الهواء المحيط بها، وبالتفاعل الكيماوي المعروف - والذي من نتائجه طرح الاوكسجين خارج كيان الشـجرة، وهو عامل طبيعي عظيـم يعمل على تنقية الهواء، وتغذيته بالاوكسـجين - تنمو هذه النبتة، ويقـوى سـاقها وتمتد أغصانها وتتفرع، يومـاً بعد يوم، مختزنة الكثير من الطاقـة القادمة اليها من ضوء الشمس.

ومن بعد ذلك فانا نرى أن هذه النبتة الخضراء التي اقتطفت واستخدمت كوقود تتحول إلى مصدر حراري يهب الضوء والحرارة والدفء لنا.

قال الله تبارك وتعالى في آواخر سورة يس: ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون**﴾[٣٠].

وللمفسرين جملة تأويلات تتعرض إلى هذه الآية الكريمة يمكن أن تتلخص ضمن ثلاثة تفسيرات هي:

١ - المراد بالشـجر الأخضر هنا المرخ والعفار، وحيث يوضح ذلك ما أشـار اليه في حديثه استاذنا السـيد الطبطبائي في ميزانه عند تعرّضه بالتفسـير لهذه الآية المباركة: الاية مسـوقة لرفع استبعاد جعل الشيء الموت شيئا ذا حياة، والحياة والموت متنافيان، والجواب: أنه لا استبعاد فيه، فإنه هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر الذي يقطر ماء ناراً فإذا أنتم منه توقدون وتشعلون النار.

والمراد به على المشهور بين المفسرين شجر المرخ والعفار، كانوا يأخذون منهما على خضرتهما فيجعل العفـار زنداً أسـفل، ويجعـل المرخ زنـداً أعلى، فيسـحق الأعلى على الأسـفل فتنقدح النـار بإذن الله تعالى.

فحصـول الحـي مـن الميـت ليـس بأعجـب مـن انقـداح النـار مـن الشـجرة الخـضراء، وهمـا متضادان[٣١].

٢ - جـين نـرى جمع آخـر من المفسرين يذهب إلى القول بأن المراد بالشـجر الاخضر هنا كل عموم الأشـجار لأنها تمتلك في داخلها القابلية على الأشـتعال، وهو ما نراه من احتراق الكثير من المساحات الشاسعة من الأشجار في الغابات نتيجة بعض الأعاصير والصواعق المبعثة من خلالها.

٣ - وهو التفسير المتقدّم منّا حول اختزان الطاقة وانبعاثها بعد ذلك على شكل ضوء وحرارة عند الاحتراق، وهو ما أثبتته العلوم المتطورة في الطاقة، وحيث سـلف منّا الحديث عنه آنفاً، وتعرّضنا من خلالها إلى تفسير الاية القرآنية المباركة في سورة يس.

الأدلة العقلية لاثبات المعاد

تعرّضنا آنفاً بصحبة القارئ الكريم إلى جملة من الأدلة العينية المتعلّقة باثبات مسألة المعاد، وبشكل موجز ومتعجل، حاولنا من خلاله القاء بعض الضوء على هذا الأمر المهم والحساس في حياة البشرية عموماً، وسنحاول هنا التعرّض إلى بعض من الأدلة العقلية المثبتة له، والقاطعة بحدوثه، والتي سنعمل جاهدين على أن نطرحها بشكل علمي متوخين منه الايضاح غير المسهب والمطول، مستعينين في تحقيق ذلك بتوفيقه الله تعالى ورعايته.

١ - الدليل الفطري

لا مناص من القول بأن الإنسان يمتلك في أعماق نفسه اعتقاداً راسخاً بالله تبارك وتعالى، وأنه هو خالقه ومنشئه، وأن هذا الاعتقاد اعتقاد فطري خلقه معه، وتكون مع تكون خلاياه وأنسجته، وهذا الأمر ما سلف منّا الحديث عنه مفصلاً في كتابنا التوحيد السوي والطبيعي، وهذا الأمر ما سلفت منا الحديث عنه مفصلاً في كتابنا التوحيد دراسة معاصرة، وأشبعناه بحثاً ونقاشاً.

ويتوافق هذا الاعتقاد معه اعتقاد آخر مترسب في أعماق النفس البشرية يسلّم بمسألة المعاد والبعث، يظهر في سلوكيات وأفعال مختلفة قد يتصور البعض أن باعثها جملة معينة من الأمور المختلفة، ذات الأبعاد الأخرى، إلا ان واقع الحال، والدراسة النفسية المتأصلة في عمق هذا التصرف يظهر بوضوح ترسّب هذا الاعتقاد وتشكله في داخل النفس البشرية، وانعكاسه بأشكال مختلفة لا تنصرف عن التصور الذي ذكرناه، وهو الإيمان بالبعث، وأن الأمم السالفة لابد لها من وقت تقوم فيه من رقدتها، وتهب من سباتها، وتنبعث فيها الحياة لتسري في الأجساد المتهرئة، والعظام النخرة.

ولا غرو في ذلك فهل تأملنا في ما يعنيه حرص عموم الناس على طول العمر، ودأبهم المتواصل

للحفـاظ عـلى عوامل البقاء المختلفة، ومـا تناقلتهم أخبارهم من البحث عن عـين الحياة ومائها الذي يهـب البقـاء لمـن شرب منه... هـل يعني ذلك غير الحـرص على الحيـاة، والرغبة المتكالبة عـلى البقاء، وحيث تترجم هذه الغريزة أيضاً في علاقة الأب بابنه، ومثابرته على أن يكون اسـتمراراً له، ومواصلة لوجوده بعد حياته.

مـا الـذي يفسر هذا العشـق والحرص الأكيد على هذا الأمر، إلا يعني ذلـك الخوف من انتهاء هذه الحيـاة والاقدام على شيء آخر وحياة اخرى لها مصاديق ومعايير مختلفة، كما هو الحال في المسـتضعفين والمغلوبين على أمرهم في هذه الدنيا حيث تراهم يتأملون غريزياً الاقتصاص ممن ظلمهم في عالم آخر، حياة اخرى، وعلى هذا الأمل ينامون، وفي ظلال توقعاته يلتحفون.

بـل ولـو تأملنا بشيء من التدبـر في جملة من التصرفات التي دأب الكثير مـن الأمم التي تصنف في خانة الجماعات غير المؤمنة بالرسـالات السـماوية، وما جاء بها الانبياء والمرسـلين عليهم السلام، لوجدناهم تشي بحقيقـة هـذا الأمر، وتنضوي تحت اطاره بلا أدنى شـك، وإن كابرت وغالـت في المعارضة والمنابذة، والنفي والاستخفاف.

١ - انـك ترى عموم اولئك الناس يفيضون بالكثير من التقدير والاهتمام والتبجيل لقبور محبيهم، ويرفعون صرحها، ويزورونها ويحادثونها بأدب جم، ولطف واضح.

٢ - بـل وتـرى اطـلاقهـم اسـماء اولئـك الاشـخاص - وبالتحـديـد عظمائهـم منهـم، وكبـار رجالاتهم - على الشوارع الرئيسية، والمدن والقرى، والمدارس والجامعات والمعاهد المختلفة.

٣ - ثم تراهم يضفون الكثير من التقدير والتبجيل لاسماء اولئك عند الحديث عنهم، أو التعرّض لسيرتهم.

٤ - ويحرصون كذلك على تسمية ابنائهم باسما اولئك الرجال.

٥ - والأوضـح من كل ذلك العمل على تحنيط أجسـاد اولئك العظماء للمحافظة عليها من التلف والفساد.

وغـير ذلـك مـن المظاهر التي نراها ونسـمع بها كثـيرا وفي أزمنـة وأماكن مختلفة... فـما يعني ذلك الأمـر لـولا وجود الغريـزة الفطرية في النفـس البشرية المؤمنة بأن هنـاك حياة اخرى لابـد وأن ينتقل اليهـا اولئك الموتى من أعزائهـم وأحبائهم وقادتهم، وإلا فما جدوى هذا الاحترام وهذا التقدير الذي لولا ذلك لكان عبثاً وتخريفاً وتضييعاً للوقت والمال والجهد... انها تصرفات تبعث من غريزة مستقرة في عمق الفطرة البشرية التي خلقت مع الإنسـان، والتصقت بوجوده، وأصبحت من أطهر مظـاهرة وأتقاها.

نعم، إن الفطرة البشرية – ورغم محاولة البعض انكارها وتجاوزها – هي من المقاييس الكبرى التي تقود إلى ادراك الكثير من الحقائق الكامنة فيها، والمستقرة في أعماقها.

قال تبارك وتعالى في سورة الروم: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾[٣٢].

وحيث نقل عن رسول الله ﷺ ان المراد بالدين هنا دين الله تبارك وتعالى[٣٣]، وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن المراد بالفطرة أنها الإسلام[٣٤].

ولا مناص من القول بأن هذه الفطرة هي السبل البينة التي أوجدها الله تبارك وتعالى في الإنسان ليسلك من خلالها المناهج القويمة والطرق الآمنة التي تقوده نحو النجاة والهداية.

«فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهدية إلى تميم نواقصه، ورفع حوائجه، وتهتف له بما ينفعه وما يضره في حياته...وهذه الفطرة الخاصة تهديه إلى سنة خاصة في الحياة، وسبيل معينة ذات غاية مشخصة، ليس له الا أنه يسلكها خاصة، وهو قوله تعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[٣٥].

٢ - دليل العدالة

ليس بخاف على القارئ الكريم أن العدالة من صفات الله تبارك وتعالى، وما يصدر عنه هو العدل المطلق لا غير، ولذا فإن كل النظم والشرائع والمناهج المنبعثة عن الذات الالهية مناطها العدل، ومنتهاها هو لا غيره.

وإذا تعارف البشر على أن مفهوم الجزاء والثواب هو المقياس المرتكز عليه في جوانب الحياة يمثل واحدا من مصاديق اقرار العدل بين عموم الناس، والمنهج الذي يمتاز به الحق عن الباطل، والمحق والمبطل، والمخلص والمخادع، فان هذا المقياس الذي تألف على البشر في حياتهم هو الصورة المبسطة والمصغرة عن المفهوم العام والمطلق الذي تجريه ارادة السماء في احقاقها للحق وابطالها الباطل وبالتالي اعطاء كل ذي حق حقه، ومعاقبه كل مقصر على تقصيره، وكل مذنب على ذنبه ومعصيته.

ولا مناص من القول بأن المقاييس البشرية في تنفيذ هذا البرنامج الكبير متفاوتة التطبيق، مزاجية الارتكاز، لا يمكن أن تنال الكل، ولا أن تنصف الجميع، بل وهو في أحيان كثيرة تمنح الحق وتفيض العطاء على المذنب، وتعاقب وتحرم صاحب الحق والمعتدى عليه، وهو أمر معروف ومشهور حتى أمست من نكات العصر اطلاق صفة العدالة العمياء على أحكام الأرض الوضعية، ومراكزها صاحب القرار، والمجرية له.

ولايتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يتجاوز إلى عدم قدرة الإرادة البشرية، وقوانينها الوضعية على تحصيل وادراك جلّ حوادث الظلم والتعسف والمخالفات التي تجري على الأرض، ناهيك عن كلها وجميعها.

ويتعدى هذا الأمر ليتوقف كثيراً أمام سلاطين الجور، وحكام الظلم والتعسف الذين يمتلكون ناصية القرار، ويتحكمون في وسائل تطبيقه، كيف أنه رغم ظلمهم الذي قد يتجاوز الوصف ويتعدى كل حد، تراهم بعيدين عن متناول العدالة الوضعية، وهي أعجز من أن تعاتبهم ناهيك عن معاقبتهم والاقتصاص منهم، هذا إذا لم تثن عليهم، وتمجد ظلمهم، وتشيد باسرافهم وتجاوزهم للحدود والحرمات والحقوق في كل يوم وكل ساعة... فتحول الظالم إلى عادل، والمظلوم إلى مخالف وعاق وخارج عن القانون؟!

هكذا هي العدالة البشرية، وهذه هي أبسط مصاديقها، فكم وكم من المظلومين عفى الدهر على حياتهم وأسمائهم ورحلوا عن هذه الدنيا دون أن تقوم العدالة البشرية في حقهم كلمة حق، ناهيك عن ان تحكم لهم به... بل وكم من الظلمة والطواغيت من رحلوا عن هذه الدنيا بعد أن ملؤوها بفسادهم وظلمهم وجورهم وهتكهم للمحرمات والمقدسات، وقتلهم للنفس المحرم قتلها إلا بالحق، حين ترى نصبهم وصورهم وأسمائهم تملأ الشوارع، وتغص بها الكتب والمجلدات، كلها تثني على عدالتهم، وتشيد بأخلاقهم، وسمو منازلهم، والكثير الكثير من البشر في هذا الأمر مخدوعون، وتحت ظلال عمته نائمون غافلون سائرون مسترخون.

نعم، إن هذا الأمر مما شغل عقول وأذهان المفكرين والعلماء على طول التاريخ، وأدركوا أن لا عدالة تنال من المجرم إلا عدالة السماء، ولا محكمة تضع الحق في موازينه إلا محكمتها، ولا يوم يقف فيه الجميع - الغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والقوي والضعيف - متساوون لا فرق بينهم لينال كل ذي حق حقه، ويجزي كل من اقترف ذنباً جزاءه إلا يوم القيامة، حيث يقف الاشهاد بين يدي البارئ جل اسمه لتقام المحكمة العادلة، وتجري الأحكام الصواب وينال كل واحد على قدر ما اقترف وما جنى، ويسترد المظلوم حقه كاملاً لا نقص فيه ولا حيف، بل وحتى ما غفل عنه وما لم يكن به عالماً، لأن علم الله تعالى أحاط بكل شيء، وقدرته لا حدود لها ومدى.

إن الله تبارك وتعالى لم يخلق الناس سدى وعبثاً، ولم يكلفهم بالعدل والمحبة والخير عبثاً، ولم يحذرهم لغواً، بل جعل كل شيء يجري وفق نظم وبرامج سماوية تخضع كل شيء للمراقبة، وتشرف بدقة على كل شيء، علاوة على أنه جل اسمه يحيط بكل ذل، ويعلم بكل شيء، ولكن لئلا يترك لأحد حجة، ولا لمخادع ذريعة يتذرع بها.

والبشر عموماً - إلا أهل العصمة - مقترفون للذنوب، مجترحون للسيئات إلا من رحم ربي، وذنوبهم هذا عند الله تعالى في كتاب لا يخطئ ولا يضل أبداً، ولكنه جل اسمه يؤخرهم ليوم في آخر الدنيا ليترك للظالم ما يمكنه من التراجع عن ظلمه، والمذنب لتكفير ذنوبه، وإلا فإن العقاب سيكون حينذاك أشد وأقصى، لأنه عقاب رب السماوات والأرض، الجبار المتكبر... عذاب لا تتصوره العقول، ولا تتخيله الأذهان... فليبادر كل عاص إلى التوبة، وكل مقصر للتفكير عن تقصيره وجريرته.

نعم، يتركهم جل اسمه رغم علمه بمعصيتهم وظلمهم، لانهم عموم البشرية، وبعقابهم تخلو الأرض، ويهلك من فيها.

قال جل اسمه في سورة النحل: ﴿**ولو يؤاخذ اللهُ الناسَ بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[٣٦].

والدابة ما يدب على الأرض، فيهلك الظلمة عقوبة لهم وغيرهم بشؤمهم، أو أهلك الآباء بظلمهم لبطل نسلهم، ولهلكت الدواب المخلوقة لهم، بل يؤخرهم إلى أجل مسمى هو منتهى أعمارهم أوالقيامة ليتوالدوا، فإذا جاء أجلهم فإنهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فيؤخذون حينئذ[٣٧].

بلى، ان الله تعالى سيؤخرهم إلى ذلك الأجل، وسينال كل واحد ما اجترف وما اقترفت يداه، وهناك سيقام العدل، وتنصب موازينه، وتجرى مناهجه.

في ذلك اليوم لا غيره يكون العدل هو المنهج الحاكم، والسبيل المتبع، وهو الأمل المترسخ في أذهان البشرية جمعاء شاءت أم أبت، كابرت في ذلك أو أنكرت، أنها تعرف ذلك، وتستدل في ذلك على مسألة اقرار العدل وتحقيق مصاديقه الصحيحة.

وفي القرآن الكريم اشارات واضحة، وآيات بيّنة تشير بوضوح إلى هذا الامر سنحاول سوية استعراض بعضا منها.

ففي سورة القلم يقول البارئ جلّ اسمه: ﴿**إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون**﴾[٣٨].

وفي سورة الجاثية يقول تبارك وتعالى: ﴿**أم حسب الذين اجترموا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[٣٩].

وقال عزّ من قائل في سورة ص: ﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجّار**﴾[٤٠].

وقوله تبارك شأنه في سورة ابراهيم: ﴿**لا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام**

* يـوم تبـدل الأرض غيـر الأرض والسـموات وبرزوا لله الواحـد القهار * وتـرى المجرمين يؤمئذ مقرنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجري الله كل نفس ما كسبت إن اللـه سـريع الحسـاب * هذا بلاغ للنـاس ولُينذروا بـه وليعلموا إنمـا هو إله واحـد وليذكر أولوا الألباب﴾[٤١].

وقوله سبحانه في سورة طه: ﴿إن الساعة اتية أكاد أُخفيها لُتجزي كل نفس بما تسعى﴾[٤٢].

وكذا قوله تعالى في سورة يس: ﴿ونُفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تُظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾[٤٣].

وقوله جل شـأنه في سـورة النسـاء: ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾[٤٤].

وقوله سـبحانه في سـورة الأنبياء: ﴿ونضع الموازين القسـط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٤٥].

وقوله تعالى في سـورة الجاثية: ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ري فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٤٦].

وغير ذلك فراجع وتأمل.

٣ - دليل الحكمة

تعرّضنا بكثير من التفصيل في كتابنا التوحيد دراسـة معاصرة إلى مناقشـة ودراسـة ما يتعلق بأحد الصفـات الثبوتيـة لله تبارك وتعالى، وهي الحكمة، واسـتخلصنا من خلالها عـلى أن كل ما هو موجود ومخلوق في الكون يندرج تحت هذا الاطار، وينتظم ضمن أبعاده، أي أن كل ما هو مخلوق ومقام أُنشأ وخلـق لحكمة وليس عبثاً وفوضى، وهو أمر لا يسـتلزم منّا هنا كثير تفصيـل ومزيد شرح[٤٧]، قدر ما أردنا منه الاشارة العابرة لاتصاله بمحل بحثنا هنا.

إلا ان الخلاصـة المسـتوحاة مـن كل ذلك أن البارئ جل اسـمه في خلقه لكل مـا خلق كان لحكمة ولهدف ولغاية، وأن هذا الهدف والغاية أمر مراد ومبتغى من المخلوق، كما في خلق الشمس والمطلوب منها، والنحلة والمطلوب منها، وغير ذلك مما عظم ودق من خلق الله تبارك وتعالى.

والإنسـان هذا المخلوق العظيم الذي سـخر له تبـارك وتعالى كل شيء، ومنحـه العقل والقدرات الكبـيرة المتنوعـة التـي تمكنـه من اداء الكثـير من الاعـمال والمنجزات المحـيرة للعقول، هـو أولى هذه

المخلوقات بان يكون صاحب دور وصاحب رسالة، وهو أمر بيّن وواضح للجميع بلا استثناء، ولا شأن لنا هنا بالمكابرين والمعاندين.

اذن فإن هذا الدور الذي يمكننا تخليصه بقول الله تبارك وتعالى الشامل لكل تلك الأبعاد: ﴿**وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون**﴾[٤٨] وقوله كذلك جل اسمه في سورة البقرة: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة**﴾[٤٩]، وهذه الغاية هي الامر المناط بابن آدم، وهي وظيفته والهدف الذي خُلق من أجله، فلابد اذن من أن يودي هذا الدور بكل أبعاده ومستلزماته، وإلا فإنه مقصّر ومخالف لما أوجد من أجله.

ومن هنا فمن باب الحكمة ومسلتزماتها الحتمية أن يحاسب هذا الإنسان، ويقف للمساءلة وإلا فانه مقصّر ومخالف لما أوجد من أجله.

ومن هنا فمن باب الحكمة ومستلزماتها الحتمية أن يحاسب هذا الانسان، ويقف للمساءلة عما أنجز، وعما خالف، وعما أساء.

بلى، فليس من الحكمة بشيء أن تناط بامرئ مسؤولية ما ثم لا يُسأل عنها، وعما فعل في ذلك، فكيف بالله تبارك وتعالى وهو الحكيم الخبير وقد خلق الخلق، وأمرهم ونهاهم، ثم لا يحاسبهم، فيثيب من وفّى ويعاقب من خان وخالف وقصّر.

ان العبث أمر لا يمكن أن يتصوره أحد في هذا الأمر، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى وهو الحكيم المدبر العليم وهذا ما توضحه لنا جملة متعددة من الآيات المباركة في القرآن الكريم، والتي يمكننا استعراض بعضها بما يلي:

فمن ذلك قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿**أفحسبتهم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون**﴾[٥٠].

وقوله جل اسمه في سورة الحجر: ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**﴾[٥١].

وقوله عز من قائل في سورة القيامة: ﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**﴾[٥٢].

وغير ذلك، وهي وغيرها من الأدلة التي أشرنا اليها في مباحث كتابنا التوحيد حول الصفات الثبوتية لله تبارك وتعالى، ومنها الحكيم، كلها تؤدي إلى الغرض الأساسي الموصل إلى ادراك المعاد والقيامة أمر لا مناص منه في التسلسل المنطقي المتصل بالحكمة بلا أدنى شك.

٤ - دليل الرحمة

التأمل القليل في الجوانب الخاصة بمسألة المعاد تثير في المرء الكثير من الدلائل التي يمكنه من خلالها ادراك حتمية هذا الأمر ووجوبه استرسالاً مع المنطق والحقائق الراسخة التي لا تقبل النقاش ولا المعارضة.

ولعل من تلك الجوانب المهمة هي مسألة الإيمان بالرحمة الالهية وفيضها غير المحدود، والذي هو مصداق واضح لصفة من صفات الله تبارك وتعالى، وهي الرحمة.

والإنسان هذا المخلوق البشري هو في خضم الفيض الإلهي للرحمة السابغة من لدن الذات المقدسة للبارئ جل اسمه، وهي لا تنفك تسبغ عليه عطائها دوماً واتصالاً.

ولا تنفك هذه الرحمة تنهال وتسبغ من عطائها وجودها غير المحدود على الإنسان حتى بعد وفاته وموته، بل تناله حتى في محشره ويوم قيامته، وأما من اختاروا العذاب وسوء المنقلب، وعزفوا عن النعيم والفوز فهؤلاء هم من قادوا أنفسهم إلى الهلاك وأوردوها المهالك.. سعوا بارادتهم إلى الشر، ونالوا جزاء ما اقترفوا.

نعم، هؤلاء ما سعوا إلى الرحمة، وما طلبوها، وإلا فانها أوسع من السموات والأرض، تلاحق الانسان في حياته وبعد مماته، لأنه لا نجاة قطعاً إلا برحمة الله تبارك وتعالى، لأن الأعمال مهما بلغت فهي قاصرة والإنسان بشر يقترف المعاصي ويرتكب السيئات، وهناك من تتراكم على كاهليه وتثقلهما، ولو نال جزاء ما اقترف مباشرة بعد موته لناله العذاب، ولا حتوته النار، ولكن البارئ جل اسمه يخفف عن ذلك في يوم القيامة، ويسبغ عفوه ورحمته عليه، فيعفو عن كثير، ويغفر للكثير، إلا من شاء إلا ان يدخل النار باصرار وعناد، وسعى لها سعياً فانه خاسر بلا ريب، حرم نفسه من الرحمة ونال ما اقترفت يداه لا غير.

قال الله تبارك وتعالى في سورة الانعام: ﴿**قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون**﴾[٥٣].

٥ - بقاء الروح

ومن الدلائل الاخرى التي يُستند اليها في قضية اثبات المعاد مسألة بقاء الروح، وهي من النظريات العلمية للفلاسفة الالهيين، وهم كثيرا ما يستدلون بها في صدد تعرضهم لهذا الأمر، وهو ما سنحاول سوية تنول بعض جوانبه وأبعاده على سبيل الاختصار.

فالإنسان كما هو معروف خليط من عنصرين اساسيين، هما: الروح والجسد، الإنسان عند وفاته

وموته فإنه من يحل به هذا الأمر هو الجسد دون الروح، لانها تبقى حية لا تموت، غير انها تنفصل عن ذلك الجسد وتتركه ليهترأ ويتحول إلى تراب يختلط بغيره من التراب.

فالروح تُعد من المجردات أو نصفها، ولها الاستقلال الخاص بها، فحالها مع الجسد كحال المزارع مع منجله الذي يحمله في العمل، فإذا انفصل عنه هذا المنجل أو كسر وتلف فإن ذلك لا يعني قطعاً تلف وهلاك ذلك المزارع بلا شك، لأنه باق ومستمر، ويصدق عليه اسم المزارع، وهو موجود.

فالروح لها استقلال عن الجسد وإن ارتباطها به ارتباط قابل للانفكاك والانفصال وهذا الانفصال لايخل بها، ولا يؤدي إلى فنائها وموتها بلا أدنى ريب كما هو معروف.

وبعبارة أوضح يمكننا القول بانّا عندما نستطيع أن نردد عبارة لا استطيع في قبالة كل شيء، فانّا لا نستطيع قطعاً ان نردد ذلك في مسألة وجودنا إنّا موجودين بأي شكل من الاشكال.

عم، فإن علمنا بوجودنا هو علم حضوري لا علم حصولي كما هو معروف، وإنا عندما نكون موجودين فانّا لا يمكننا القول بانّا موجودين في مكان آخر، أو غير موجودين.

وبعبارة اخرى: لو تسائلنا ما المراد والمقصود بأنا، هي المراد بها العقل واليد والرجل والقلب وباقي الأعضاء المختلفة في جسد الإنسان أم غير ذلك؟ وأقصد بها روحه كما سنوضح ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

أقول: لو تأملنا بدقة ما هي الأنا التي ترافقنا جميع العمر؟ هل المراد بها – بأدق عبارة – الخلايا الحية المكونة للجسم البشري للإنسان – كما يتوهم ذلك البعض – أم هي خلايا الدماغ والأفعال الارادية وغير الارادية في الانسان؟

نعم، ما المراد بها، وإذا سلّمنا بهذا الرأي فإنا سنقع بالحرج والخلط والتخبط بلا أدنى شك، لأن مجمل هذه الخلايا تستهلك وتعوض في كل ما يقارب من سبع سنين، وهذا يعني بوضوح أن الانسان الذي يبلغ السبعين من عمره قد تبدل عشر مرات تقريبا؟! اذن فمن أنا في هذا التيهان؟ هل أنا ممثل في الخلايا الاولى أم الثانية أم الثالثة...؟

كل شيء يتبدل في جسم الإنسان، أو هو في زيادة ونقصان في موارد اخرى، خلاف الروح، فانها هي الثابتة وهي المرافقة له، فلا يمكننا في هذه الحالة قطعاً اطلاق كلمة الأنا إلا على الروح... فتأمل بتدبر عزيزي القارئ الكريم.

الدلائل العلمية لبقاء الروح

كثيرة هي – كما أسلفنا – الدلائل العلمية المؤيدة لمسألة بقاء الروح وعدم فنائها، ولعل من مصاديقها الواضحة ما تعارف وأشتهر من الارتباط المشهود بين أرواح الموتى والعالم الذي نعيش به، وبالشكل الذي أمسى وكأنه من البديهيات التي يستحيل انكارها ومعارضتها، إلا مكابرة وأعضاء عن الحقيقة.

ولا عرو في ذلك، فإن هذا الأمر يعد من المسلمات العلمية والدينية المتفق عليها، والتي تدل عليها شواهد ومعطيات كثيرة لا عد لها ولا حصر، بل ويجد المرء عند استقرائه للكثير من علماء الروح والمختصين بهذا المنهج ان مسألة هذه الاتصالات والارتباطات أصبحت من القضايا الميسرة والممكنة.

ففي كتاب **الارتباط العلمي بالارواح**[٥٤] للباحث الانكليزي المعروف، ورئيس منظمة الروح في لندن جميس آرثر خندلاني يستعرض جملة من الحوادث المتفرقة المبينة بوضوح لمسألة هذا الارتباط حتى انه يذكر بعد ايراده لثلاثة من الحوادث العجيبة بأن هذه الحوادث الثلاثة هي جزء من ٣٤ حادثة ذكرتها وأثبتها تحت الرقم ١،٥[٥٥].

ولعل التأمل في مطاوي هذا الكتاب يثير في ذهن المرء الكثير من حالات التأمل لما فيه من التأكيد الصريح على حقيقة الارتباط العضوي بين الارواح وعالم البقاء الذي نعيش فيه، وهذا ما نادت به الشريعة الإسلامية الخالدة من أن الروح باقية، أن ستبعث وتلج الجسد بعد موته لما لها من استقلالية وبقاء، وهذا ما أشرنا اليه آنفاً.

ثم انّا لو تأملنا في التراث الاسلامي المبارك لوجدنا الكثير من الروايات المتواترة المؤكدة لمسألة بقاء الروح وارتباطها بعالمنا هذا.

فمن ذلك ما روي مثلاً عن الامام الصادق جعفر بن محمدعليه السلام من قوله: ان المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب، ويُستر عنه ما يكره، وان الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويُستر عنه ما يحب.

قال: ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله[٥٦].

وفي رواية اخرى عنهعليه السلام أنه قال: ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عن زوال الشمس فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله تعالى على ذلك، وإذا رأي الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة[٥٧].

وعن اسحاق بن عمار انه سأل ابا الحسن الأولعليه السلام: هل يزور الميت أهله؟

فقالعليه السلام: نعم.

فسأله: في كم يزور؟

فقالعليه السلام: في الجمعة[٥٨]، وفي الشهر، وفي السنة، على قدر منزلته.

فقال: في أي صورة يأتيهم؟

فقالعليه السلامك في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإ رآهم بشر وحاجة حزن واغتم[٥٩].

وقال اسحاق بن عمار: سألت أبا الحسنعليه السلام: المؤمن يعلم بمن يزور قبره؟

فقالعليه السلام: نعم، ولا يزال مستأنساً به ما دام عند قبره، فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة[٦٠].

وغير ذلك من الراويات المتعددة والكثيرة المتعرّضة إلى هذا البحث، فراجع وتأمل[٦١].

القرآن الكريم وبقاء الروح

التأمل في كتاب الله العزيز يبيّن لنا الكثير من الآيات المباركة التي تعرضت وأشارت إلى مسألة بقاء الروح وعدم فنائها، وحيث وردت في مناسبات ومواضع متعددة.

ففـي جملـة مـن هذه الآيات المباركـة نجد كلمة توفّي غير مـصرح بها ومبين لهذا الأمـر، إذ أن المراد بهـا - كـما هو معروف قبض الـروح، وليس موتها، فالروح باقية وليسـت ميتة، ومن مات هو الجسـد فحسب.

في سـورة السـجدة يقـول تعـالى: ﴿قـل يتوفاكـم ملـك المـوت الـذي وكل بكـم ثم إلـى ربكم ترجعون﴾[٦٢].

وفي ســورة الزمـر يقول جل اسـمه: ﴿اللـه يتوفى الأنفس حيـن موتها والتي لم تمـت في منامها فيمُسـك التـي قضـى عليهـا المـوت ويُرسـل الأخـرى إلـى أجل مسـمى إن فـي ذلك لآيـات لقوم يتفكّرون﴾[٦٣].

وممـا يبيـن ذلك أيضا بوضـوح، وأن التوفّي بمعنـى القبض لا الموت والهلاك ما جـاء في قوله تعالى في سـورة الأنعـام: ﴿وهو الـذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثـم يبعثكم فيه ليُقضي أجل مسـمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويُرسـل عليكم حفظة حتـى إذا جـاء أحدكم الموت توفّته رسـلنا وهـم لا يفرطون * ثم ردوا إلى اللـه مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾[٦٤].

بـل وغـير ذلك مـن الآيـات الكريمة، وحيـث يفضي التأمـل في غير هـذا التحديد إيضـا إلى عين المبتغى، كما في قوله جل اسـمه في سـورة آل عمران: ﴿ولا تحسـن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيـاء عنـد ربهـم يُرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشـرون بالذين لـم يحلقوا بهم من

خلفهـم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشـرون بنعمة من اللـه وفضل وأن الله لا يُضيع أجر المؤمنين﴾[٦٥].

وفي سـورة البقرة يقول عز من قائل: **﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سـبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾**[٦٦].

وفي سـورة غافر يقول البررئ جل اسـمه أيضا: **﴿فوقاه الله سـيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سـوء العـذاب * النـار يُعرضـون عليهـا غـدواً وعشـياً ويـوم تقوم السـاعة أدخلـوا آل فرعون أشـد العذاب﴾**[٦٧].

وفي سـورة الجمعة يقول جل شـأنه: **﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تُردّون إلى عالم الغيب والشهادة فُينبئكم بما كنت تعملون﴾**[٦٨].

فالخطاب الموجه للجماعة هنا (أنتم) هو بلا أدنى ريب موجه إلى شـخصية الانسان المتمثلة بالروح البشرية، والتي تبقى بعد موت الجسد، وهلاكه كما هو واضح ومعلوم.

ثم ان من المعلوم كون اثبات بقاء الروح وعدم فنائها من المرتكزات الأساسية التي يرتكز عليها في مسألة المعاد والحساب والجزاء في يوم القيامة، وأما ما يتعلق بمسألة المعاد الجسماني فإنه مبحث آخر له أدلته الخاصة به، والتي سنتناولها في مباحثنا القادمة بإذن الله تعالى، فتأمل.

القسم الثاني

المعاد في القرآن الكريم
والروايات الشريفة

ليس بخاف على القارئ الكريم أن القرآن الكريم أولى مسألة المعاد والحياة وفي العالم الآخر اهتماماً واسـعاً، وذكـراً متكرراً لما يشـكله من أهمية كـبرى، ووجود عظيم، في العقيدة الاسـلامية، وبالتالي في حياة البشرية منذ بدء خلقها حتى يوم الحساب.

نعـم، فلـو تأملنا في مطـاوي هذا الكتـاب العزيز لوجدنا مـا يقارب من الثلث منـه يصنف ضمن هذا المنهج وهذا السـبيل، حتى أنه يشـكل الاهتمام الثاني بعد التوحيد، وبالشكل الذي لا يضاهيه ولا ينافسه أي شيء آخر.

ففـي حـدود ١٢٠٠ اية مباركة من القرآن الكريم ورد التعرض والحديث والاشـارة إلى المعاد وإلى الامور المرتبطة به، بل حتى انه ورد ما يقارب من السبعين أسما أو تسمية له.

إن كل ذلـك يبين بجلاء مـا لهذا الأمر من الأهمية القصوى والعظمـى في نظر الشريعة، وبالتالي ما يلفـت نظـر الإنسـان في هـذه الأرض إلى حقيقة وأبعاد هـذا الأمر، ومن ثم ما يترتـب عليه – أي على الانسـان – من مسـؤوليات جسـام، والتزامات عظام للفوز والنجاة من حسـاب هذا اليوم، والتنعم بالحياة الخالدة من بعده في جنات النعيم.

وهـذه الآيـات المباركـة نجدها وردت في مناهج ومسـائل متعددة تندرج ضمن الاطـار العام لهذا اليوم، والتي يمكننا تشخيص البعض منها ضمن الأقسام والمناهج التالية:

١ – ما يتعلق بعلامات ودلائل وأشراط يوم القيامة.

٢ – التعرض للدلائل المختلفة لامكان وقوع المعاد.

٣ – أدلة وقوع المعاد.

٤ – تقولات المنكرين لوقوع المعاد والرد عليهم.

٥ – حول بعث الموتى واحياتهم.

٦ – ما يتصل بالإعراف.

٧ – الصراط وما يتصل به.

٨ – العذاب في نهار جهنم.

٩ – النعم المختلفة في الجنة.

١٠ – الميزان، وصحف الأعمال.

١١ – الخلود وما يتصل بذلك في الجنة والنار.

١٢ – الشفاعة في يوم القيامة.

١٣ – أسماء يوم القيامة.

١٤ – نماذج مختلفة من أشكال المعاد.

١٥ – المعاد الجسماني.

١٦ – علة دخول النار، وأسباب دخول الجنة.

١٧ – محكمة العدل الالهي، وسرعة الحساب ودقة المساءلة.

١٨ – النفخ في الصور يوم القيامة.

١٩ – سعة الجنة وأبوابها الثمانية العظيمة.

٢٠ – الأبواب السبعة لجهنم.

٢١ – عذاب الجسد والروح في نار جهنم.

٢٢ – الذنب الكبير للمكذب بيوم القيامة والعذاب العظيم له.

٢٣ – عرض الأعمال يوم القيامة.

٢٤ – الدرجات والمنازل المختلفة في الجنة.

٢٥ – دركات وأودية الرعب في النار.

بـل وغير ذلك من عشرات العناوين المختلفة التي تندرج ضمنها الاشـارة والتعرض ليوم القيامة والمعاد، وحيث لا يعسر على القارئ الكريم ادراج واثبات الكثير منها بسهولة ويسر.

وعموماً فانّا سنحاول هنا – وفي طي هذه الصفحات – التعرّض لجملة محددة من المسائل الاصلية والاساسية لقضية المعاد في القرآن الكريم، حين سنحاول التعرّض لاحقا لجملة من الجوانب الاخرى المتصلة به، والمندرجة ضمن هذا الاطار في مباحثنا التالية إن شاء الله تعالى.

العذاب الشديد للمكذّبين بيوم الحساب

لا يجد المتأمل في كتاب الله العزيز أي ذنب عظيم يتوعد به القرآن الكريم بعد مسألة الشرك أشد وأغلظ من العقاب الذي سيحل بالمكذبن والمنكرين ليوم الدين وهو الحساب والمعاد.

ففي سورة المرسلات[١] والتي حفلت بالتهديد والوعيد للعصاة نجد أن هناك تغليظاً شديدا على المكذبين، وفي مرات عديدة ومتكررة بلغت خمسين مرة في هذه السورة فقط، وفي لفظ: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾.

بل وعين هذه الآية وردت في سورة المطففين، إذ يقول تعالى: ﴿ويل يؤمئذ للمكذّبين * الذين يكذّبون بيوم الدين * وما يكذّب به إلا كل معتد أثيم * إذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عند ربهم يومئذ لمحبوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يُقال هذا الذي كنتم به تكذّبون﴾[٢].

والويل كما هو معروف يُراد منه في بعض المعاني الهلاك، وفي بعضها الآخر نوع من أنواع العذاب، وفي اخرى واد أو مكان لعذاب جهنم.

وفي آية اخرى من الكتاب العزيز نقرأ في سورة الرحمن قوله سبحانه وتعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن﴾[٣].

وفي سورة الطور يقول تبارك وتعالى: ﴿إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع * يوم تمور السماء موراً * وتسير الجبال سيراً * فويل يؤمئذ للمكذّبين * الذين هم في خوض يلعبون * يوم يُدعّون إلى نار جهنم دعاً * هذه النار التي كنتم بها تكذّبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾[٤].

وفي سورة المدثر يقول جل من قائل: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في

جنّات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نُطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنّا نكذّب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين﴾[٥].

وفي سورة السجدة يقول البارئ تبارك اسمه: ﴿وأما الذين فسقوا فمؤاهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾[٦].

وفي سورة سبأ يقول سبحانه: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذّبون﴾[٧].

وفي سورة الصافات يقول جلّ شأنه: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا يا ولينا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذّبون﴾[٨].

الشك هو التكذيب

لو تأملنا وتدارسـنا في جملة من الآيات القرآنية المباركة لوجدناها تصنف الشـك بيوم القيامة خانة التكذيب به، وإن اعلان ذلك موجب الكفر ومسـتوجب للعذاب والعقاب، وحيث يمكننا اسـتقراء ذلك من خلال قوله تبارك وتعالى في سورة النمل: ﴿بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾[٩].

وقوله تعالى في سـورة سـبأ: ﴿وما كان له عليهم من سـلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾[١٠].

فالشـك بيوم القيامة اظهار لا يقبل الشـك بعدم الايمان به، وحيث يشكل هذا الإيمان ركيزة كبرى لا مناص منها للنجاة والفوز برضوان الله تبارك وتعالى، وهو ما نراه بيّناً واضحاً في الكثير من الآيات القرآنيـة المباركـة، وحيث تجعل المؤمن بها من المكتسي والمتصف بالصفات الايمانية الاساسـية المفضية للطاعة المبتغاة والمرادة منه في دنياه هذه.

قـال تعالى: ﴿الذيـن يؤمنون بالغيـب ويقيمون الصلاة وممـا رزقناهم يُنفقـون * والذين يؤمنون بمـا أنـزل اليك وما أُنزل مـن قبلك وبالآخرة هم يوقنـون * اولئك على هدى مـن ربهم واولئك هم المفلحون﴾[١١].

شواهد حية في القرآن الكريم

مسألة البعث من بعد الموت، وما نصطلح عليه نحن هنا بالمعاد، هو المسائل التي قد يعتقد البعض كونها من المعتقدات الفكرية التي يسلّم لها العقل البشري بالأدلة المختلفة فحسب، لا لشيء إلا لأنها وقائع مستقبلية قد في آخر الدنيا، متناسياً أن هناك الكثير من الشواهد والوقائع التي تتكرر وتقع وبأشكال ونماذج مختلفة يمكن للبحاث عن الحقيقة ادراكها والتثبت منها.

وإذا كانت مجمل هذه الوقائع متناثرة ومتفرقة، وقد يسلم المرء بوقوع بعضها أو لا يسلم لأسباب وعلل شتى، فإن هناك جملة من هذه المصاديق وهذه الوقائع قد أتى على ذكرها القرآن الكريم - وهو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - في مواضع متفرقة، ومناسبات مختلفة، تتحدث كل واحدة منها بوضوح لا يقبل الشك عن مسألة البعث من بعد الموت، وهي ما تؤكد قطعاً مسألة المعاد محل بحثنا هنا.

ولا يخفي على القارئ الكريم المستقرئ على أن جملة هذه الحوادث قد تعرضت كتب التأريخ لذكرها أيضاً، وسلم بوقوعها حتى المنكرين لمسألة المعاد، وقالوا بحقيقة وقوعها، فكان ذلك بلا أدنى شك حجة عليهم، وبيّنة دامغة تقطع حججهم الباهتة، وتخرس ألسنتهم المتخرصّة.

وعموماً فان جملة هذه الوقائع مسطرة في القرآن الكريم، وقد أشارت إلى تفاصيلها كتب التفسير، وبشكل واضح وبيّن وسنحاول سوية - وفي طي صفحات كتابنا اللاحقة بإذن الله تعالى - استعراضها وبشكل موجز مختصر، وهذه الوقائع هي:

١ - قصة نبي الله تعالى العزيز عليه السلام، أو القوية الخاوية على عروشها.

٢ - إحياء آلاف الموتى من بني إسرائيل وبعثهم.

٣ – قصة أهل الكهف.

٤ – وقائع قتيل بني إسرائيل وما يتصل منها بذبح البقرة.

١ - قصة نبي الله تعالى العزيز عليه السلام، أو القرية الخاوية على عروشها

لعلنا لا نجد مناسبة للاستطراد في بحث مسألة كون المراد بهذه الواقعة هو العزيز عليه السلام – كما تذهب إلى ذلك جملة من التفاسير – أو غير ذلك[١٢]، لأنه ليس بمحل بحثنا هنا قدر ما أردنا من ذلك التعرّض لعين الواقعة وتفاصيل أبعادها، وما يتصل بمسألة الاحياء بعد الموت، وبالتالي المعاد.

قال تعالى في سرده لهذه الواقعة: ﴿**أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فإماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلنك اية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلماً تبيّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾[١٣].

ولنتأمل سوية في ما أورده استاذنا الطبطبائي قدس سره حول هذه القصة العجيبة والعظيمة في وقائعها وأحداثها:

قال رحمه الله تعالى برحمته الواسعة: التدبّر في الآية يعطي أن الرجل كان من صالحي عباد الله تعالى، عالماً بمقام ربه، مراقبا لأمره، بل نبياً مكلماً، فان ظهر قوله: ﴿**أعلم أن الله**﴾ أنه بعد تبيّن الأمر له رجع إلى ما لم يزل يعلمه من قدرة الله تعالى المطلقة، وظاهر قوله تعالى: ﴿**ثم بعثه قال كم لبثت**﴾ انه كان مأنوساً بالوحي والتكليم، وأن هذا لم يكن أول وحي يوحى اليه، وإلا كان حق الكلام أن يُقال: فلما بعثه قال...الخ أو ما يشبهه كقوله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى * إني أنا ربك**﴾[١٤] وقوله سبحانه وتعالى فيه أيضا: ﴿**فلما أتاها موسى نودي من شاطئ الوادي الأيمن**﴾[١٥].

وكيف كان فقد كان عليه السلام خرج من داره قاصداً مكاناً بعيداً عن قريته التي كان بها، والدليل عليه خروجه مع حمار يركبه، حمله طعاماً وشراباً يتغذى بهما.

فلما سار إلى ما كان يقصده بالقرية التي ذكر الله تعالى أنها كانت خاوية على عروشها، ولم يكن قاصداً نفس القرية، وإنما مر بها مروراً، ثم وقف معتبراً بما يشاهده من أمر القرية الخربة التي كان قد أُبيد أهلها وشملتهم نازلة الموت، وعظامهم الرميمة بمرئى ومنظر منه عليه السلام فإنه يشير إلى الموتى بقوله: ﴿**أنى يحيي هذه الله**﴾ ولو كان مراده بذلك عمران نفس القرية بعد خرابها والاشارة إلى نفس القرية لكان حق الكلام أن يقال: أنى يعمر هذه الله. على أن القرية الخربة ليس من المترقب عمرانها بعد خرابها، ولا أن عمرانها بعد الخراب مما يُستعظم عادة، ولو كانت الأموات المشار اليهم مقبورين – وقد اعتبر

بمقابرهم – لكان من اللازم ذكره والصفح عن ذكر نفس القرية على ما يليق بأبلغ الكلام.

ثم إنه تعمق في الاعتبار فهاله ما شهده منها فاستعظم طول مدة مكثها مع ما يصاحبه من تحولها من حال إلى حال، وتطورها من صورة إلى صورة، بحيث يصير الأصل نسياً منسياً، وعند ذلك قال: ﴿أنى يحيي هذه الله﴾ وقد كان الكلام ينحل إلى جهتين:

١ – استعظام طول المدة والاحياء بعد ذلك.

٢ – استعظام رجوع الاجزاء إلى صورتها الأولى والفانية بعد عروض هذه التغييرات الغير المحصورة.

فبيّن الله له الأمر من الجهتين جميعاً: أما الجهة الاولى: فباماته ثم احيائه وسؤاله واما الجهة الثانية: فباحياء العظام بمنظر ومرئي منه.

فاماته الله مائة عام ثم بعثه، وقد كان الاماته والاحياء في وقتين مختلفين من النهار، قال: ﴿كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ نظراً إلى ختلاف الوقتين... فرد الله سبحانه عليه وقال: ﴿بل لبثت مائة عام﴾ فرإى من نفسه أنه شاهد مائة سنة كيوم أو بعض يوم، فكان فيه جواب ما استعظمه من طول المكث.

ثم استشهد تعالى على قوله: ﴿لبثت مائة عام﴾ بقوله: ﴿فانظر إلى طعام وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك﴾ وذلك أن قوله: ﴿لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ يدل على أنه لم يحس بشيء من طول المدة وقصرها، وإنما استدل على ما ذكره بما شاهد من حال النهار من شمس أو ظل ونحوهما، فلما أجيب بقوله تعالى: ﴿بل لبثت مائة عام﴾ كان الجواب في مظنة أن يرتاب فيه من جهة ما كان يشاهد نسه ولم يتغير شيء من هيئة بدنه، والإنسان إذا مات ومضى عليه مائة سنة على طولها تغير لا محالة بدنه عما هو عليه من النضارة والطراوة، وكان تراباً وعظاماً رميمة، دفعه الله تعالى الذي يمكن ان يخطر بباله بأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه لم يتغير شيء عما كان عليه، وأن ينظر إلى الحمار وقد صار عظاماً رميمة، فحال الحمار يدل على طول مدة المكث، وحال الطعام والشراب يدل على إمكان ان يبقى طول هذه المدة على حال واحد من غير ان يتغير شيء من هيئته عما هي عليه.

إلى أ قال قدّس سره: ثم بيّن الله تعالى له الجهة الثانية التي يشتمل عليه قوله: ﴿أنى يحيي هذه الله﴾ وهو: أنه كي تعود الأجزاء إلى صورتها بعد كل هذه التغييرات والتحويلات الطارئة عليها، واستلفت نظره إلى العظام فقال: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ والانشاز الإنماء.

وظاهر الآية أن المراد بالعظام عظام الحمار، إذ لو كانت عظام أهل القرية لم تكن الآية منحصرة فيه كما هو ظاهر قوله: ﴿ولنجعلك آية﴾ بل شاركه فيه الموتى الذين أحياهم الله تعالى[١٦].

٢ - إحياء آلاف الموتى من بنى إسرائيل وبعثهم

قال الله تبارك وتعالى في سوة البقرة: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[١٧].

روى عن أبي عبدالله الصادقعليه السلام[١٨] في قوله تعالى: ﴿أم تر إلذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال هلم الله موتوا ثم أحياهم﴾: أن هؤلاء أهل مدينة مدائن الشام، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان، فكانو اذا أحسوا ب خرج من المدينة الأغنياء لقوتهم، وبقي فيه الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا: لو كنا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقل الذين أقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت.

قالعليه السلام: فاجتمع رأيهم جميعاً أنه اذا وقع الطاعون فيهم، وأحسوا به خرجوا كلهم من المدينة، فلما أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحوا عن الطاعون حذر الموت، فساروا في البلاد ما شاء الله تعالى.

ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها، فلما حطوا رحالهم واطمأنوا بها قال لهم الله عز وجل: موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح، وكانوا على طريق المارة فكنستهم المارة، فنحوهم وجمعوهم في موضع.

قالعليه السلام: فمر بهم نبي من أنبياء بني اسرائيل يُقال له: حزقيل، فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال: يارب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم، فعمّروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدوك من خلقك.

فأوحى الله تعالى إليه: أفتحب ذلك؟ قال: نعم يارب فأحيهم. قال: فأوحى الله عز وجل اليه أن قل كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عز وجل ان يقوله.

قال الصادقعليه السلام: فلما قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض، فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض، يسبحون الله عز وجل ويكّبرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أن الله على كل شيء قدير[١٩].

٣ - قصة إبراهيمعليه السلام والطيور

أشار القرآن الكريم إلى واقعة كبيرة وحساسة في حياة خليل الرحمن ابراهيمعليه السلام، لها مداليل واسعة، ومعطيات كبيرة، وآثارة عظيمة، توقف عندها العلماء والمفسرون، وأطنبوا في شرحها وتفصيلها، واستفاضوا في الاستدلال بها والمحاجة والبرهان.

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن

قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل مهن جزء ثم ادعهن بأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾[٢٠].

روى أبوبصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قوله إن ابراهيم عليه السلام رأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثم ترجع فيشد بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البر فتأكل منها فيشد بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب ابراهيم عليه السلام مما رأى وقال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قال: كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً؟ ﴿قال أوَلم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ يعني: حتى أرى ذا كما رأيت الاشياء كلها.

﴿قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل كنهن جزءً﴾ فقطعهن واخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً، فخلط ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءً ثم اعدهن يأتينك سعياً﴾ فلما دعاهن أجبنه[٢١]، وكان الجبال عشرة[٢٢].

٤ - قصة أصحاب الكهف

ليس بخاف على القارئ الكريم الكثير من مضامين قصة الفتية المؤمنين الذين عافوا بأصحاب الكهف، وما رافقتها من أحداث وظواهر هي مسطرة من القرآن الكريم، وهو ما سنحاول التعرّض اليه في الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

قال جلّ اسمه في سورة الكهف: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً * نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الهاً لقد قلنا إذا شططاً * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطات بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً * وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أركم مرفقاً * وترى الشمس إذا طلعت تّزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضه ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً * وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولمُلئت منهم رعباً * وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو

بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً * إنهم أن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً * وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها... ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً * قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يُشرك في حكمه أحداً﴾[٢٣].

روى القمي في تفسيره أن أصحاب الكهف فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام، ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وحدثنا أبي عن ابن ابي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: كان سبب نزول سورة الكهف أن قريشا بعثوا ثالثة نفر إلى نجران: النضر بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عليه السلام: فخرجوا إلى نجران، إلى علماء اليهود، فسألوهم فقالوا: اسألوه عن ثلاثة مسائل فإن اجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثم اسألوه عن مسألة واحدة، فإن اعدي علمها فهو كاذب.

قالوا: وما هذه المسائل.

قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا، كم بقوا في نومهم حتى انتبهوا؟ وكم كان عددهم، وأي شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصتهم...؟

فرجعوا إلى مكة، واجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أباطالب إن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل، فإن أجابنا عنها علمناً أنه صادق، وإن لم يخبرنا علمنا أنه كاذب!!

فقال أبوطالب: سلوه عما بدا لكم.

فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الثلاث المسائل فقال صلى الله عليه وآله وسلم: غداً أُخبركم، ولم يستثن.

فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتى اغتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشك أصحابه الذين الذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا، وحزن أبو طالب.

قال عليه السلام: فلما كان بعد أربعين يوماً نزلت سورة عليه سورة الكهف.

قال: فقال الصادق عليه السلام: إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبار عات، وكانوا يدعو أهل مملكته إلي عبادة الأصنام، فمن لم يجب قتله، وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عز وجل، ووكل الملك بباب المدينة ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام فخرجوا هؤلاء بعلة الصيد، وذلك أنهم مروا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب خرج معهم.

قالعليه السلام: فخرج أصحاب الكهف من المدينة بغية الصيد هرباً من دين ذلك الملك فلما أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله تعالى عليهم الناس كما قال الله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم فـي الكهف سـنين عدداً﴾ فنامـوا حتى أهلك الله تعالى ذلك الملك وأهـل المدينة، وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون.

ثـم انتبهوا فقال بضعهم لبعض: كم نمنا ههنا؟ فنظروا إلى الشـمس قـد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم...[٢٤]

٥ - وقائع قتيل بني إسرائيل وما يتصل منها بذبح البقرة

واقعـة البقـرة في هذه السـورة هـي المرتكز الذي سُـميت به، واُطلـق عليها كما هـو معروف لدى الجميـع. وهـذه الواقعة يمكن اجمالها بما رواه البزنطي عن الإمام الرضاعليه السلام ونُقل وفي أكثر من مصدر، وفيه يقول: سمعت الرضاعليه السلام يقول: إن رجلاً من بني اسرائيل قتل قربة لم ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني اسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه.

فقالوا لموسىعليه السلام: إن سبط آل فلان قتلوا فلاناً، فأخبر من قتله.

فقال موسىعليه السلام: أئتوني ببقرة.

قالوا: أتتخذنا هزواً؟!

قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

قل الإمام الرضاعليه السلام: ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله تعالى عليهم.

قالوا: ادع لنا رب يبين لنا ما هي

قال: انه يقول إنها بقرة لا فارص ولا بكر - يعني لا صغيرة ولا كبيرة - عوان بين ذلك.

قال الإمام الرضاعليه السلام: ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله تعالى عليهم.

قالوا: ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها؟

قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تُسر الناظرين.

قال الإمام الرضاعليه السلام: ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله تعالى عليهم.

قالوا: ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي؟ إن البقر تشابه علينا، وإنّا إن شاء الله لمهتدون.

قال: إنه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها.

قالوا: الآن جئت بالحق، فطلبوا فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلا بملؤ مس ذهباً.

فجاؤوا إلى موسى عليه السلام وقالوا له ذلك، قال: اشتروها، فاشتروها وجاؤوا بها، فأمر بذبحها، ثم أمر أن يضربوا الميت بذنبها.

قال عليه السلام: فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال: يا رسول الله، إن ابن عمي قلتني، دون من إدعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله.

فقال رسول الله موسى عليه السلام لبعض أصحابه: إن هذه البقرة لها نبأ، فقالوا وما هو:

قال موسى عليه السلام: إن فتى من بني اسرائيل كان بارا بأبيه، وإنه اشتري بيعاً فجاء إلى أبيه والأقاليد تحت رأسه، فكره أن يوقظه، فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره، فقال: أحسنت، هذه البقرة فهي لك عوضاً عما فاتك.

وأضاف موسى عليه السلام قائلا: أنظر إلى البر ما بلغ بأهله[٢٥].

أقول: لنتأمل في الآيات القرآنية المباركة المتحدثة عن هذه الواقعة قبل ان نسترسل في حديثنا عن هذا الأمر.

قال تعالى في سورة البقرة: **﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا أدع لنا ربك يبيّن لنا منا هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارص ولا بكر عوان بين ذلك فافلعوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماي هي إن البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شيه فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كلك يحيي الله الموتى ويُريكم آياته لعلكم تعقلون﴾**[٢٦].

ولا مناص من القول ان هذه الواقعة التي تضمنتها جملة هذه الآيات المباركة قد اشتملت على كثير من الوقائع والمعطيات المختلفة، والتي لا تخفى على أحد، إلا ان مرادنا من كل مسألة الاحياء بعد الموت، وولوج الروح في الجسد مرة اخرى، وعودة ذلك الانسان الميت إلى سابق عهده، وتذكره لما مر عليه... فهو عين ذلك الانسان الميت التى قطع بوفاته، وأصبح في عداد الموتى كما هو واضح معلوم.

اذن فما الذي نستبطه من هذه الواقعة اوضح من أن البعث والاحياء بعد الموت من المسائل المسلم بامكانية وقوعها حقيقة دون أي لبس، لا لكون الدليل الايماني والفطري والعقلي والنقلي يؤيده فحسب، بل لأنها بالاضافة إلى ذلك وقائع حاصلة عياناً، وتحدّث بها القرآن الكريم، وعرّف بوقوعها وحدوثها، وهذا ما تأملناه في مجمل الآيات المباركة السابقة الذكر.

المعاد الجسماني في القرآن الكريم

المدخل

هناك جملة تساؤلات، تستتبعها بالتالي جملة استنتاجات وآراء مختلفة تمثل الاطار العام للمدارس المنبعثة عنها كل الآراء وتلك النظريات المختلفة والمتعددة، والتي تشكل بالتالي رواسب ونتائج ملحوظة في التعاطي الواقعي والعلمي مع كيفية ذلك المعاد النتائج المترتبة عليه، وهو ما سنحاول البحث فيه والتعرّض له في مطاوي صفحاتنا اللاحقة بإذن الله تعالى.

بدءً لابد لنا من التعرف على النظريات المختصة بالتعريف بكيفية الحياة بعد الموت، والتي يمكننا تخليصها بالأشكال الأربعة التالية:

النظرية الأولى: تذهب هذه النظرية إلى أن الحياة تنحصر بعد الموت بالروح فحسب فهي بعد انفصالها عن الجسد حين الموت تصبح هي المصداق الواقعي والفعلي للإنسان، وأما الجسد فيحل عليه الفناء والعدم.

وبالتالي فإن هذه النظرية تذهب إلى القول بأن المُحضر يوم القيامة هي الروح فقط، ومعها يجري الحساب،وتنال هي وحدها الثواب والعقاب، وأما الجسد فقد انعدم ولا وجود له.

النظرية الثانية: تذهب هذه النظرية إلى القول بأن الأساس في كل ذلك هو الجسد، وأما الروح فهي لا تمثل إلا أثراً جانبياً، ولا يمكن اعتبارها من خواص ومصاديق هذا الجسد، وحيث يمكن أن تُبعث فيه أي روح، أو تخلق فيه روح اخرى لا علاقة بها بالروح السالفة التي انتهت فعلاً بوقوع الموت وحلوله بالجسد حين الوفاة.

النظرية الثالثة: وتقول هذه النظرية بان الحياة بعد الموت تشمل البعيدين الاثنين اللذين كانا متحدين قبل الموت، وهما الروح والجسد، أو المعاد والبعث سيشهد اتحادهما مرة اخرى، وسيشكل

ذلك الأمر في حقيقته معاداً للروح والجسد كما هو واضح.

النظرية الرابعة: تخفف هذه النظرية من المبدأ الذي تقول بـه النظرية الثالثة، والقائلة بعودة الروح والجسد مرة اخرى على ما كانا عليه قبل الموت، وحيث تذهب إلى أن الروح ستعود فعلاً ولكن الجسد وبعثه سيكون وسطياً غير كاملاً، أي لا تقول هذه النظرية بعود الجسم المادي بعناصره المعروفة، بل سيكون جسماً طيفياً يمثل في حقيقته عصارة الجسد الميت، فيشكلان - أي الروح والجسد - شكلاً كاملا للروح، ونصف شكل للجسد.

أقول: إن لكل نظرية من هذه النظرية دعاتها والقائلين بها، ومجرد الاستعراض لا يمكنه أن يشكل في أي صورة من الصور، أو شكل من الاشكال ايضاحاً وتبياناً للحقائق والوقائع التي يقول بها المشرع الاسلامي، ويقطع بوقوعه دون أي لبس أو إشكال.

ولا مناص من القول بان الفهم المختلف للمدارس المتعددة هذه للنصوص والأخبار المختلفة، وبالتالي ما يوصل إلى الاستدلال العقلي المرتكز على ما يسلم ذلك البعض بصوابه هو أوصل اصحاب هذه النظريات إلى القول بها، والايمان بمعطياتها.

ومن هنا سنحاول بعون الله تعالى - مناقشة جملة هذه الأمور، ومن وبالارتكاز على ما جاء به القرآن الكريم وما التوفيق إلا من قبل الله العزيز الحكيم.

أقول: التأمل لا في ما هو واضح وكثير جداً من آيات القرآن الكريم فحسب، بل وفي الكثير من الراويات والاخبار الشريفة يظهر بلا أدنى شك صدقية وصواب ما تقول بـه النظرية الثالثة من الاحياء والبعث للروح في الجسد كما كان عليه قبل الموت، ليكون جسماً حياً كاملاً كحاله من قبل.

ولا مغالاة في القول اذا جزمنا بأن هناك الجم الوفير من الآيات القاطعة بحصول المعاد علي الشكل الذي تقول به هذه النظرية، والتي تصل إلى العشرات أو المئات على ما هو واضح للمتأمل والمتدبر.

ونحن هنا لا يسعنا أن نستعرض جملة الآيات أو كثير منها قدر ما نبتغي أن نتناول البعض منها استدلالاً وتبياناً للواقع والحقيقة:

١ - فمن ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه! بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾[٢٧].

الوقفة البسيطة المتأملة في معاني الآيتين الكريمتين المذكورتين تظهر جملة كبيرة من الحقائق المؤدية للتسليم بحقيقة ما تقول به هذه النظرية، حيث ان الآية الاولى توبخ الانسان المنكر أو المستغرب لمسألة جمع العظام واحيائها على ما كانت عليه، حين تدمغه الآية الثانية بما هو أشد عسراً وأدق خلقة، وهي

مسألة تسوية أطراف الأصابع وتصويرها على ما كانت عليها من الصور السابق، سواء من الأفعال والتراكيب والحركات وغيرها، أو ما كانت عليه من الخطوط المتميزة التي لا يتشابه بها انسان مع انسان، والتي أصبحت من الناحية العلمية والقانونية مادة ثابتة يُستند اليها في معرض الشخص بعينه دون سواه من بني البشر على كثرتهم وكثافتهم وأعدادهم التي يعسر عدها وحصره.

٢ - آيات متعددة في القرآن الكريم أشارت بوضوح وجلاء إلى أن جملة متعددة من التعابير التي لا يفهم منها إلا انها بعث للجسد، وإحياء له، ولا يمكن لأي واحد ان يصرفها إلى غير هذا المفهوم بأي شكل من الاشكال.

فجملة من تلك الآيات المباركة تتحدث عن بعث الانسان من قبره، والقبر لا خلاف فه بأنه موضع دفن الجسد لا الروح، وكذا هو حال الجدث والأجداث، والرقد والمراقد، فانها محلات وأماكن دفن الاجساد حالها حال القبور وغير ذلك مما هو مذكور في القرآن الكريم.

ولنتأمل سورية في بعض من هذه الآيات الكريمة لتوضح لنا الصورة الحقيقة التي لا تقبل الشك بصدق ما تقول به النظرية الثالثة المتقدمة الذكر:

فمن ذلك قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى لاقوا يومهم الذي يوعدون * يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾[٢٨].

وقوله جل اسمه في سورة الحج: ﴿وإن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾[٢٩].

وقوله تبارك وتعالى في سورة الانفطار: ﴿إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فُجّرت * وإذا القبور بُعثرت * علمت نفس ما قدّمت وأخرت﴾[٣٠].

وقول سبحانه وتعالى في سورة العاديات: ﴿أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور﴾[٣١].

وقوله سبحانه في سورة يس: ﴿ونُفخ في الصور فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ولينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[٣٢]

٣ - ما يشير من الآيات المباركة إلى أن الإنسان خُلق من التراب،واليها يعود، ومنها سيُخرج تارة تارة اخرى، وهي آيات واضحة البيان والدليل على بعث الأجساد مرة اخرى بعد الموت وعند المعاد:

فمن ذلك قوله تبارك شأنه في سورة طه: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى﴾[٣٣].

وقولـه جل اسـمه في سـورة نـوح: ﴿والله أنبتكم مـن الأرض نباتـاً * ثم يعيدكم فيهـا ويخرجم إخراجاً﴾[٣٤].

وقوله عز من قائل في سورة الأعراف: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون﴾[٣٥].

٤ - جملة ما يشير من الآيات القرآنية المباركة إلى المشابهة بين الاحياء يوم القيامة بالانبات واخضرار الأرض واحياء الارض بعد موتها:

فمن ذلك قوله تعالى في سـورة فاطر: ﴿والله الذي أرسـل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾[٣٦].

وقوله سبحانه في سورة الروم: ﴿يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرجون﴾[٣٧].

وقولـه عـز من قائل في سـورة الزخرف: ﴿و الذي نزل من السـماء ماء بقدر فأنشـرنا بـه بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾[٣٨].

وقوله جل شأنه في سورة الحج: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثـم مـن نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقـة وغير مخلّقة لُنبيّن لكم ونُقّر في الأرحام ما نشـاء إلى أجل مسـمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشـدكم ومنكم من يُتوفى ومنكـم من يُرد إلى ارذل العمر لكيـلا يعلم من بعد علم شـيئاً وتـرى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المـاء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[٣٩].

وقوله تعالى في سورة ق: ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾[٤٠].

وغـير ذلـك من الآيـات المباركـة الكـريمـة التي لا يعسـر - قطعـاً - على القـارئ الكـريم ادراكهـا ومعرفتها، وادراك المـراد منهـا حيث التأكيـد والقطع بمسـألة الاتحاد الحتمـي بين الروح والجسـد حـين المعاد، وعودة الإنسـان إلى مـا كان عليه قبل المـوت، بروحة وجسـده ولا غيرهما، ولا دونهما.

وقفة تأمل

هـا قـد طوينا مع القارئ الكريم مراحـل متعددة، ومحطات متلاحقة مسـتوحاه من القرآن الكريم تتنـاول مسـألة المعاد والبعث مـن بعد الموت، وحيث أشرنـا ضمناً إلى وقائع ثابتـة تعرض لها الكتاب العزيـز كقصـة أصحـاب الكف وغيرهـم، وحيث تتعـرّض جملتها إلى اثبات مسـألة المعاد الجسـماني،

والتي قد تتمثل في حقيقتها الهم الأكبر، والتساؤل الأعظم الذي لم ينفك عن ترديده المنكرون للمعاد، ويودون حجة ودليل كما أسلفنا في ما مضي من صفحات كتابنا السابقون.

قال تعالى في سورة يس: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾(٤١)

وقال جل اسمه في سورة المؤمنين عن لسان اولئك المنكرين: ﴿أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون﴾(٤٢).

وفي سورة القيامة يقول البارئ سبحانه وتعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نُسوي بنانه﴾(٤٣).

وأما في سورة الاسراء فيقول تبارك وتعالى: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنّا عظاماً ورفاتاً أإنّا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾(٤٤).

وهكذا فمن هذه الآيات الكريمة وغيرها تبدو الحالة واضحة وجلية من أن شبهة الانكار كانت متعلقة بشكل أساسي بالجسد وعودته إلى الحياة، وهو الأمر الذي سبق منّا وان تعرضنا لايضاحه ودفع شبهة هؤلاء وغيرهم.

وثم إنّا لو تأملنا في جملة متعددة من الآيات المباركة الكريمة لوجدناها تشير بوضوح إلى مسألة عودة الأعضاء الميتة والتالفة في ذلك الجسد، بل وحتى جلد ذلك الإنسان.

قال تعالى في سورة النور: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾(٤٥).

وقال جل اسمه في صورة فصّلت: ﴿وقالوا لجلودهم لـِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه تُرجعون﴾(٤٦).

وغير ذلك، حتى أننا لو تأملنا في الكثير من الآيات المباركة والروايات الشريفة لوجدناه تشير بوضوح إلى أن التلذذ والعذاب في الآخرة هو جسماني بلا أدنى شك.

ومن هنا فلا يبقى أمام المنكرين لمسألة المعاد الجسماني، بل وحتى القائلين بالمعاد الروحاني فحسب إلا أن يعارضوا هذه الآيات الكريمة، وجملة تلك الأحاديث الشريفة، بل وحتى ليأتوا بدليل يحتجون به لاثبات دعوتهم الباطلة والساقطة هذه.

نحن هنا لا نريد الاستزادة والتفصيل والاطناب في توضيح وشرح هذا الموضوع أكثر مما تعرضنا له آنفاً، قدر ما أردنا الاشارة المتعجلة والعابرة إلى ما تمخضت عنه مباحثنا السالفة فحسب.

مظاهر الحضور يوم القيامة كما في القرآن الكريم

التأمل في الآيات المباركة المتعرضة لكيفية ظهور الناس وبعثهم يوم القيام يظهر لنا أشكال مختلفة ومتعددة لهذا الحضور، ولعل البعض يتوهم أن في ذلك تناقض وتعارض لما يراه من تعدد هذه الأشكال، ولعل البعض يتوهم أن في ذلك تناقض وتعارض لما يراه من تعدد هذه الأشكال، وهو وهم محض، لان تعدد الاشكال مرتبط بتعدد مراحل الحشر والحساب من جانب، وإلى التفاوت في الأعمال والأفعال من جانب آخر، وبل وإلى غير ذلك من العلل والأسباب الاخرى التي تظهر بوضوح حين التأمل في مجمل تلك الايات الكريمة.

وعموماً فلنحاول سوية التعرض إلى جملة من تلك الآيات المباركة للتعرف على بعض تلك الاشكال.

١ - في بعض تلك الآيات المباركة يبدو أن الانسان يحشر وحيداً لا أحد معه، بل هو فرداً مفرداً.

قال تبارك وتعالى في سورة مريم: ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾[٤٧].

٢ - وفي بعض الآيات الكريمة نرى أن الانسان يُحشر يوم القيامة مع إمامه وقائده ومن تبعه في حياته الدنيا.

قال جل اسمه في سورة الاسراء: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾[٤٨].

٣ - وفي آيات مباركة اخرى نجد ان هناك من يحشرون جماعات جماعات.

قال تعالى في سورة النبأ: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾[٤٩].

٤ - بل ويصفهم البارئ جل اسمه في حالة من حالات حشرهم كالجراد المنتشر، والذي يدخل بعضه في البعض الآخر، ويختلط الجميع فيما بينهم حين انتشاره، ويتفرقون في جهات مختلفة.

قال سبحانه وتعالى في سورة القمر: ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾[٥٠].

٥ - كما نجد أن هناك وصفا آخراً لبعض مظاهر الحشر كما يصفهم البارئ جل اسمه في سورة القارعة بالفراش لكثرتهم وتفرقهم وشدة تموجهم وحيرتهم.

يقول جل اسمه: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾[٥١].

٦ - بل ونجد أن هناك من يحشر يوم القيامة أعمى غير مبصر كما يقول تعالى في سورة الاسراء: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾[٥٢].

٧ - وفي مواضع اخرى تجد هناك فريقين، فريق مسفر الوجه ضاحك، وآخر مغبر الوجه كالحه، كما نقرأ ذلك في قوله تعالى في سورة عبس: ﴿فإذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمُه وبنيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ يومنذ شأن يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * اولئك هم الكفرة الفجرة﴾[٥٣].

٨ - ونقرأ في الكتاب العزيز عن مظهر آخر من مظاهر ذلك الحشر في قوله تعالى في سورة القلم: ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾[٥٤].

٩ - بل ونقرأ في القرآن الكريم عن قوم مقيدين بالأغلال كما في قوله تعالى في سورة ابراهيم: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد﴾[٥٥].

١٠ - وعلى خلاف من سبق نرى من هو غارق في النعم، متقلب في أطنابه، في متناول يده ما يشتهي وما يريد، وهو ما نقرأه في سورة الواقعة: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود * وطلع منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة...﴾[٥٦].

١١ - بل وتجد أن المتقين المؤمنين في حال عظيم إذ ترى نورهم يسعى بينهم ويحيطهم وهم في نعيم وخير عميم، حين تعاين هناك التفاضل العظيم بين المؤمنين وما هم عليه من النعيم، وبين المنافقين وما هم عليه من الذل والهوان، وما يطبق عليهم من الظلام الحالك كما في سورة الحديد: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا

نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[٥٧].

وغير ذلك من المواقف التي تجد لها ذكراً في آيات الكتاب العزيز، والمبينة لهذا الأمر، والتي توضح جميعها أيضاً وتؤكد على مسألة المعاد الجسماني الذي قلنا به، وأشرنا إلى أنه الحق في جملة ما ذكرناه من النظريات السالفة.

تجسم الأعمال يوم القيام

ما هي طبيعة عرض الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته - سواء كانت خيراً أم شراً - في موقفه يوم القيامة؟

هل أن هذه الأعمال مجرد أسطر في صفحات مطوية في كتاب تقرأ على الإنسان في ذلك اليوم لينال جزاء أعماله ويستوفي نتيجة أفعاله؟

نعم، هل هي كذلك أم هي حقائق متجسدة تظهر للمرء يوم القيامة فيراها عياناً كما فعلها في حياته الدنيا لتكون عليه حجة لايملك أمامها عذر... حجة دامغة ودليل قاطع؟

إن هذه التساؤلات هي مدار بحث ونقاش، واخذ ورد، وسنحاول سوية التعرّض لهذا الأمر من خلال الآيات القرآنية المباركة، والروايات الشريفة المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

تجسم الأعمال في القرآن الكريم

من مباحث القرآن الكريم المنضوية في آياته الكريمة مسألة حساسة ومهمة جداً تستدعي الإنسان المزيد من التفكير والتدبر، وهي عملية عرض الأعمال على صورتها أو ما يناسبها يوم القيامة.

فأعمال الخلق علي صنفيها السيء والرديء، أو الخير والشر، هي في كتاب لا يغادر صغير ولا كبيرة إلا احصاها، وتُقام الحجة على هؤلاء العباد بعرض ما قاموا به من أعمال عليهم، فهو يرى كيف سرق، وكيف زنى، وكيف قتل وكيف فعل المنكرات، كما ان هناك من يرى أعماله الخيرة، وأفعاله الطيبة فيبتهج بها، ويسعد برؤيتها خلاف الأول الذي يتمنى لو تسوى به الأرض، أو لم يكن شيئا لينجو من الخزي الأكبر الذي يحيق به، ويكشف كل أفعاله المنكرة، ويفضحه على رؤوس الأشهاد، أجارنا الله تعالى وجميع المؤمنين والمؤمنات من هذا الموقف العسير.

وحقاً ان كيفية هذا العرض تبقى الآن غيبية رغم أن هناك الكثير من التفسيرات لهذا الأمر، إلا ان المهم حقيقة أصل الموضوع، وهو تجسم الاعمال - خيرها وشرها - وعرضها على الإنسان، وتلقيه جزاءها وعاقبة أفعالها.

فعندما نقرأ قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾[٥٨].

لابد أن تتبادر إلى الذهن مسألة ما يراه الإنسان هو نتيجة عمله، وحاصل تحصيل ما قدمه من أفعال، ولكن - واسترسالاً مع ما سنقرأه في الآيات المباركة الكريمة ألا يمكن ان نتصور أن هذا هو العرض للاعمال، لاسيما ونحن نشهد في عصرنا الحديث وسائل تقنية عالية، وقدرات علمية عظيمة تكشف لنا الكثير من القدرات الرهيبة؟!

انــه مجـرد تسـاؤل فحسـب لا جـزم ولا تفسـير،وحيث تسـنده الكثـير مـن الدلائـل والمعطيات المختلفة:

١ - قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربُك أحداً﴾[٥٩].

قال اسـتاذنا الطبطبائي رحمه الله تعالى في تعليقه على هذه الآية: ظاهر السـياق كون الجملة تأسيسـا لا عطـف تفسـير لقوله ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ وعليه فالحـاضر عندهـم نفس الأعمال بصورتها المناسبة لها لا كتابتها كما هو ظاهر[٦٠].

٢ - وفي سـورة آل عمـران نقـرأ قوله تعالى: ﴿يـوم تجد كل نفس ما عملت مـن خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[٦١].

المتأمـل في هـذه الاية المباركة يجد أن هناك ما يؤيد ويدعم نظرية تجسـد الاعمال بشـكل جلي، لانها تشير إلى حضور تلك الاعمال وسعي ذلك العاصي إلى الابتعاد عنها، والهروب من الاقتراب منها، بل والتمني بأن يكون بينها وبين تلك الأعمال المنكرة فاصلة زمانية كبيرة.

٣ - وقوله جل اسـمه في سـورة الزلزلة: ﴿يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[٦٢].

وكان قـد تقـدم منـا الحديـث عن هذه الآيـات المباركة، والاسـتدلال بهـا على تجسـم الأعمال يوم القيامة، فراجع.

٤ - وأما في سـورة آل عمران فنقرأ قوله جل اسـمه: ﴿ولايحسبن الذين يبذلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[٦٣].

وفي هـذه الآيـة دلالة لاتخفى على تجسـيم الأعـمال مـن حيـث تطويـق ما يبخـل بـه البعض مـن الحقـوق لاعناقهم يوم القيامة، وتحول ذلك الحـق الشرعي المترتب عليه، والذي بخل عليه، وأعرض عـن الوفـاء بـه، إلى ثعبان أو غير ذلك، يطـوق عنه يوم القيامـة، وهو ما توضحه الأخبـار والروايات المختلفة.

روي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قوله: ما من عبد منع زكاة ماله إلا جعل الله تعالى ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار.

ونُقـل في روايـة أُخـرى عنـه عليه السلام: مـا من رجـل لا يـؤدي زكاة ماله إلا جُعـل في عنقه شـجاع يوم القيامة[٦٤].

٥ - ومـن ذلـك قوله تعالى في سـورة الزمر: ﴿وبدا لهم سـيئات ما كسـبوا وحاق بهـم ما كانوا به يستهزؤون﴾[٦٥].

وهذه الآية تحمل من المعاني ما يفضي إلى التوافق مع منهج القول بتجسيم الاعمال، لانها تقول بان نتيجة عملهم ستبدو أي تظهر كاملة واضحة، والسيئات هي كما هو معروف أصل الأعمال لا جزاء الاعمال، وحاق بهم أي أحاط بهم.

وقد نُقل عن رسول الله ﷺ بعد قراءته لهذه الاية: هي الأعمال حسبوها حسنات فوجدوها في كفة السيئات[٦٦].

تجسّم الأعمال في الروايات الشريفة

كثيرة هي الأخبار المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، والمتحدثة عن مسألة تجسم الاعمال يوم القيامة، بل حتى اننا نجد ان كبار علماء الشيعة وفقائهم - كالشيخ المفيد، والصدوق، والبهائي (رحمه الله) تعالى برحمته والواسعة وغيرهم - ذهبوا إلى القول بهذا الأمر، بل وقطعوا به واعتبروه من عقائد الشيعة الإمامية.

قال الشيخ البهائي قدس سره: تجسم الاعمال في النشأة الاخروية قد ورد في احاديث متكثرة من طرق المخالف والمؤالف(٦٧).

وعموماً فسنحاول اقتناص جملة من الروايات والأخبار من خلال الكم الكبير منها، والمشيرة إلى مسألة تجسم الأعمال.

فمن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوّر له عمله في صورة حسنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله اني لاراك امرأ صدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة(٦٨).

وفي رواية عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالساً قرب رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل أبي أيوب الانصاري فقال له معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾(٦٩) الآيات...؟

فقال صلى الله عليه وآله: يا معاد، سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل صلى الله عليه وآله عينيه، ثم قال: يُحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً، قد ميزهم الله تعالى من المسلمين، وبدل صورهم، بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق، ووجوههم من تحت، ثم يُسحبون عليها،وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم لايعقلون، وبعضهم يمضغون السنتهم، فيسيل

القيـح مـن أفواهم لغاباً، يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من ناصر، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جلباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأما الذين إلى صورة القردة فالقاتلون [٧٠] من الناس.

وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت.

وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا.

والعمي الجائرون في الحكم.

والصم البكم المعجبون بأعمالهم والذين خالف أعمالهم أقوالهم.

والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران.

والمصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان.

والذيـن هم أشـد نتنـاً من الجيف فالذيـن يتمتعون بالشـهوات واللذات، ويمنعـون حق الله تعالى في أموالهم.

والذين يلبسون الجلباب فأهل الفخر والخيلاء[٧١].

تجسّم الأعمال في عالم البرزخ

العـالم يلجـه الإنسـان بعد موته، وحيث تنصب لـه فيه محكمة اولى يتولانها ملـكان كريمان هو عالم الـبرزخ – وهـو العالم الذي يكون مـا بين الموت والقيامـة – وحيث تبدو حينها للميـت نتائج اعماله، وخلاصة أفعاله.

والحديـث عن هذا الموضوع هو من الأمور التي يكثـر الحديث عنها، والتكلم عن ما يترتب عليها من شدائد ومصاعب لا تعد ولا تحصى، إلا أن من المهم بمكان القول بأن كلمة المسلمين قد اجتمعت على وقوع حساب وعذاب البرزخ وثوابه، حتى عُد هذا الأمر من ضروريات الدين الاسلامي الثابتة، وأن منكره كافر.

قـال المحقـق الطـوسي (رحمه الله) في تجريـده: عذاب القبر واقـع لا محالة، لا مكانة وتواتر السـمع بوقوعه.

وقـد شرح العلامـة الحـلي هـذه العبـارة: نُقـل عـن ضرار انـه انكـر عـذاب القبر، والاجمـاع على خلافه[٧٢].

وفي شرح المقاصـد: اتفـق الاسـلاميون على حقيقة سـؤال منكـر ونكير في القبر، وعـذاب الكفار وبعض العصاة فيه، نُسب خلافه إلى بعض المعتزلة[٧٣].

وعمومـاً فـإن هذا المبحث من المباحـث المفصلة التي ما أردنا هنا الا الاشـارة اليهـا، منطلقين من خلالها نحو اصل مبحثنا، وهو مسـألة تجسـم الاعمال في البرزخ، وهو ما تشـير اليه الروايات الكثيرة والمتعددة، والتي سنحاول بإذن الله تعالى التعرض إلى البعض منها.

فمـن ذلـك ما رواه الكليني في الكافي عن أبي سـيار، عن الامام الصادقعليه السلام مـن انه قال: إذا دخل المؤمـن قـبره كانت الصلاة عن يمينـه، والزكاة عن يسـاره،و البر مطل عليه، قـالعليه السلام: فيتنحى الصبر

ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكما، فإن عجزتما عنه فإنا دونه[٧٤].

وما رواه البرقي في المحاسـن عن ابي بصير عن أحدهما عليه السلام من أنه قال: اذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور، فيهن صورة أحسنهن وجهاً، واطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة.

قال عليه السلام: فتقف صورة عن يمينه، واخرى عن يساره واخرى بين يديه، واخرى خلفه، واخرى عن رجليه، وتقف التي هي أحسـنهن فوق رأسـه، وإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك، أي يؤتي من الجهات الست.

قال عليه السلام: فتقول أحسنهن صورة: ومن انتم جزاكم الله عني خيراً؟

فتقـول التـي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يسـاره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنـا الصيـام، وتقول التـي من خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عنـد رجليه: أنا بر من وصلت من أخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فانت أحسننا وجهاً، واطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة.

فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلى الله عليه وآله[٧٥].

بـل وغير ذلك مـن الروايات الكثـيرة والمتعدد التي يمكن للقـارئ الكريم مراجعتهـا والتأمل في مضامينها وأبعادها.

الشهود يوم القيامة

العدالـة الالهيـة هي العدالة المطلقة التي لا يمكـن لاحد ان يقارن اي عدالة بها، ولا أن يجعل هناك أي نسبة بين الاثنين مهما قلت ودقت.

ولا غرو في ذلك،فان من صفات البارئ جل اسمه العدل، بل والعدل من الاصول الخمسة للدين الاسـلامي الحنيـف كما هو معـروف وهذه العدالة لهـا مصاديق لا تُعد ولا تُحـصى إلا ان ما يهمنا الآن المـرور عليـه هو مسـألة العدالة يوم القيامة، والتي تتجسـد في جملة واسـعة من المعطيـات، من جملتها اقامة الشـهود على الانسـان، لا يمكنه انكارها، أو التنصل عنها، لأنها بطبعه محاجج منكر لما لا يرضاه لنفسه.

والشـهود في محكمة السـماء متعددون، ومتفاوتون وحيث سـنحاول سـوية اسـتعراض جملة منهم باختصار وتعجل ومن خلال الآيات القرآنية المتعددة، وجملة من الاحاديث الشريفة:

١ - شهادة البارئ جل اسمه:

لا منـاص مـن القول ان الله تبارك وتعالى هو أول الشـهود والذي لا تخفـى عليه خافية في الأرض ولا في السـماء، وحيث تظهر تلك الشـهادة بوضوح وجلاء لا يقبل الشـك من خلال الآيات المتفرقة من الكتاب العزيز، والمتعرضة لذلك الأمر، والمبينة له، ومنها قوله جل اسمه في سورة الحج: ﴿**إن الله على كل شيء شهيد**﴾[٧٦].

وقوله تبارك وتعالى في سورة يونس: ﴿**فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون**﴾[٧٧].

وقوله عز من قائل في سورة يونس أيضا: ﴿**ولاتعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهوداً**﴾[٧٨].

٢ - شهادة الانبياءعليهم السلام:

وإلى ذلك يشـير قوله تعالى في سـورة النحل: ﴿**ويوم نبعث في كل أمة شـهيداً عليهم من أنفسـهم**

وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾[٧٩].

وقوله جلّ اسمه في سورة النساء: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**[٨٠].

٣ - شهادة الأئمة عليهم السلام:

وللأئمة من أهل البيت عليهم السلام شهادة يوم القيامة كما تذكر التفسيرات المختلفة لجملة من الآيات المباركة، وهي شهادة دامغة كغيرها من الشهادات التي ستُقام يوم القيامة.

فقوله جل اسمه في سورة البقرة: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**[٨١].

نُقل عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام قولهما في تفسيرهما: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله تعالى على خلقه، وحججه من أرضه[٨٢].

وأما قوله جل اسمه في سورة النساء: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾**[٨٣].

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا[٨٤].

٤ - شهادة الملائكة:

ثم أن هناك شهوداً آخرين جعلهم الله تعالى من المراقبين والناظرين لعمل الانسان في حياته، وحيث يستقدموا يوم القيامة للادلاء بشهادتهم عن عمل هذا الانسان.

قال تعالى في سورة ق: **﴿ونُفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾**[٨٥].

وقول جلّ اسمه في سورة الانفطار: **﴿وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾**[٨٦].

٥ - شهادة الأرض:

بل ونجد أن الأرض يوم القيامة هي من الشاهدين على الانسان بافعاله المتعددة، تشهد على من كان على ظهرها ما فعل منذ ولد وحتى دُفن في جوفها.

قال تعالى في سورة الزلزلة: **﴿إذا زُلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها﴾**[٨٧].

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله في تفسير هذه الآيات: (أخبارها) أن تشهد على كل عبد وأمة بما

عملوا علي ظرها، تقول عمل كذا وكذا يوم كذا، فهذا اخبارها[٨٨].

نعـم، ومـن هنا فانا نجد الكثير مـن الأخبار والروايات المتعددة التي تدعو الانسـان إلى الاكثار في الصلوات في الاماكن والبقاع المختلفة من الأرض، لانها جميعا ستشهد له يوم القيامة بأن صلى عليها، وعبدالله تعالى فيها.

فمن ذلك ما روي عن الإمام عليعليه السلام من قوله: صلوا المسـاجد في بقاع مختلفة، فإن كل بقعة تشـهد للمصلي عليها يوم القيامة[٨٩].

وما روي من أن رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لم يرتحل من منزل إلا وصلى فيه ركعتين، وكان يقول: حتى يشـهد علي بالصلاة[٩٠].

٦ - شهادة الضمير والنفس:

خلق الله تعالى في الانسـان جانباً مهماً وحساسـاً هو خير دليل له في حياته الدنيا، وخير منقذ له من ارتكاب الموبقات والمعاصي والظلم، وهو الضمير الذي لن يدع هذا الانسان في اسرافه ومعاصيه دون ان يردعه، وحيث يستمر هذا الامر مع الانسان ليصل معه إلى يوم القيامة ليكون عليه شهيداً، بما جناه وارتكبه، هو ونفسـه البشرية التي سترجع إلى فطرتها، لتدلى بشهادتها أيضاً، وتقر بالحقيقة التي تعرفها بلا شك ولا ريب.

قال تعالى في سورة القيامة: ﴿**بل الانسان على نفسه بصيره * ولو ألقى معاذيره**﴾[٩١].

وقوله جل اسمه في سورة الاسراء: ﴿**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾[٩٢].

٧ - شهادة الجوارح:

ومن الشهود الدامغين على الانسان يوم القيامة جوارحه وأعضائه التي ستعلن في محكمة السماء ما دفعها الانسان إلى فعله من الاعمال والتصرفات المختلفة، أكانت خيراً أم شراً.

قـال تعالى في سـورة يس: ﴿**اليوم نختم علـى أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشـهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾[٩٣].

وقـال تبـارك وتعالى في سـورة النـور: ﴿**يوم تشـهد عليهم ألسـنتهم وأيديهم وأرجلهـم بما كانوا يعملون**﴾[٩٤].

وقال سـبحانه في سـورة فصلت: ﴿**وقالوا لجلودهم لمَ شـهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾[٩٥].

وقـال عـز شـأنه في سـورة الإسراء: ﴿**إن السـمع والبصـر والفـؤاد كل اولئـك كان عنـه مسؤولاً**﴾[٩٦].

٨ - شهادة الزمان:

الزمن بدوران أيامه وعاقب دهوره هو من الشاهدين على ذلك الإنسان المخلوق، مذكراً له بالآخرة وحسابها، وأن ما يمضي منه لن يعود أبداً.

قال الإمام علي عليه السلام: ما من يوم يمر على ابن آدم إلا وقال له ذلك اليوم: أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد... أشهد لك به يوم القيامة(٩٧).

٩ - صحيفة الأعمال:

ثم أن هناك ما يُكتب على الأنسان مما يقوم به من الأعمال المختلفة طيلة حياته، فإن كل ذلك مسطر مكتوب، لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهو سيكون يوم القيامة من الشهود على ذلك الإنسان أيضاً.

قال تعالى في سورة الجاثية: ﴿**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذاكتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾(٩٨).

١٠ - شهادة الأعمال:

تقدم منّا آنفاً الحديث عن تجسم الأعمال يوم القيامة، وحيث تبين بوضوح جلي أن الأعمال تتجسد أمام ناظري الانسان بشكلها الحقيقي أو بما يناسب العمل، وينطبق عليه.

نعم، أن هذا التجسيد للأعمال سيكون بمثابة شاهد لا تنكر شهادته، ولا تماطل حجته بأي شكل من الأشكال، لأنه عين الواقع وصورته الحقيقية.

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربُك أحداً**﴾(٩٩).

الشاكون يوم القيامة

هـا نحـن نخطو سريعاً في جملة متعـددة من المواقف والمشـاهد المختلفة يوم القيامـة، ومن ذلك ما سـيكون في موقـف الشـاكي في ذلـك اليـوم، لظلم لحقـه، ولحـيف أصـابـه من قبـل الآخـرين، وهو بـين يـدي العدل الكـريم، وفي محـكمته التـي ان تكـن مثقال حبة من خردل أتت بها،و حاسـبت على أساسها.

هـؤلاء الشـاكون والمتظلمون يـوم القيامة أصحـاب حق غصب حقهـم، ومكانة نوزعـوا عليها، وأوذوا في سبيلها.

هم من أراد البارئ جل اسـمه لهم مكانـة ومنزلة، ومنهج في التعامل، ولكن هناك من أعرض عن ذلك، وأدار له عارضيه، فكان جزاؤه أن يشـكوه صاحب الحق بين يدي الله تعالى يوم القيامة لينصفه ويأخذ حقه ممن ظلمه.

وعمومـاً فسنسـتعرض بـإذن الله تعالى جملة من اولئك الشـاكين كـما جاء ذلك في القـرآن الكريم، والروايات الشريفة.

١ - الشاكي الأول: الرسول الأكرم محمدﷺ

الشـاكي الأول هو نبي الرحمة محمد بن عبداللهﷺ، وشـكوته كما يسـطرها قول البارئ جل اسـمه جعل اسمه متعلقة بما لحق القرآن الكريم من الاعراض كما يشير إلى ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان:

﴿**وقال الرسول يا رب أن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾[١٠٠].

ولكن ما الهجران الذي لحق بالقرآن الكريم والذي دفع بالرسـول الأكرمﷺ للشـكوى إلى الخالق تبارك وتعالى؟

ذكر الطبرسي رحمه الله تعالى في مجمعه عند تفسيره لهذه الاية المباركة ان ذلك رسول الله ﷺ يشكو قومه، وروى عن عبدالله بن عباس قوله: يعني هجروا القرآن وهجروني وكذبوني.

واضاف الطبرسي: والمعنى: جعلوه متروكاً لا يسمعونه ولايتفهمونه(١٠١).

وعموماً فان هذه الشكوى على جملة ما فسرت يمكن تلخيص ما ذكر بالنقاط والتظلمات الثلاثة التالية التي يذهب البعض من المفسرين إلى واحد منها:

١ - انه ﷺ يشكو إلى الله تعالى اعراض الأمة عن قراءة هذا الكتاب العزيز.

٢- انه ﷺ يشكو عدم فهم الأمة لهذا القرآن، بل وعدم حرصها وجدها على تحصيل ذلك.

٣ - بل انه ﷺ يشكو إلى الله تعالى امته التي قرآت هذا الكتاب، وفهمت تعاليمه وأحكامه، ولكنها لم تعمل بكل ذلك، ولم تطع ما جاء فيه، وما أمر الله تعالى باتباعه.

نعم، ان هذه جملة التفسيرات الثلاث التي يذهب اليها البعض من المفسرين كل على حدة، إلا ان جملة اخرى من المفسرين تذهب إلى القول بأن الشكوى شاملة للأسباب الثلاثة المذكورة، فهي لم تقرأ القرآن وهجرته، ولم تعمل على فهمه وفهم ما فيه، بل وخلصت على عدم العمل بما فيه أخيراً، فكانت الشكوى مركبة ومتصلة الحلقات.

٢ - الشاكي الثاني: القرآن الكريم

قريب مما تقدم نجد ان الشاكي الثاني يوم القيامة هو القرآن الكريم الكتاب المقدس الذي لو أُنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله تعالى، ولكن الكثير من الناس لم يرعوا له حرمة، ولم يعلموا بما فيه، وتسابقوا على لهو الدنيا وزينتها الفانية ومتعها الرخيصة البالية.

نعم، إن هذا الكتاب سيكون من الشاكين يوم القيامة كما نُقل عن رسول الله ﷺ قوله: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف...(١٠٢)

وعن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: تعلموا القرآن، فان القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة - إلى ان قال: - حتى ينتهي إلى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتي في الأرض، وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، كيف رأيت عبادي؟

فيقول: يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئا، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك.

فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُثبين عليك اليوم أحسن الثواب، ولأُعاقبن عليك اليوم أليم العقاب...(١٠٣)

فالقرآن الكريم يشكو إلى الله تعالى الكثير من الناس على جملة متعددة من السلوكيات والأفعال تجاهه.

فهناك من لا يقرأ القرآن، ومن لا يريد أن يفهم مافيه، ومن يفهم ولكن لا يريد أن يعمل بما فيه.

وهناك من اتخذ القرآن وسيلة لتحقيق أهدافه الدنيوية، ورغباته الشهوانية.

وهناك من يتخذ القرآن حرزاً يقيه الأخطار ليس إلا.

وهناك من جعل القرآن كتابا للقراءة على قبور الموتى فحسب.

وهناك من اختصه بان يكون مهراً للنساء فحسب.

وهناك... وهناك... إلى آخر المطاف.

٣ - الشاكي الثالث: العترة الطاهرة عليهم السلام

لا يختلف اثنان في ما أحاط العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام من الظلم والتعدي والتجاوز واغتصاب الحقوق...

لا أحد يستطيع أن يغالط نفسه وينكر ذلك، إلا من هو كاذب وأفاق، وخارج عن الدين ومخالف لأهله. فها هو رسول الله صلى الله عليه وآله النموذج الاول الذي لم يؤذ نبي كما أوذي والذي أطبق عليه أعداؤه ولم يتركوا أي عمل يؤذيه الا وعملوه، كان صلى الله عليه وآله كثير الشكوى إلى الله تعالى، وسيكون من الشاكين بين يديه يوم القيامة.

بل وهناك أمير المؤمنين علي عليه السلام، وما لحقه من الظلم الذي لا يخفى على أحد، نراه يقول: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة(١٠٤).

وأما الزهراء عليها السلام فستقف بين يدي الله تعالى شاكية متظلمة كما يُنقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قولها عليها السلام قرب العرش: الهي وسيدي احكم بيني وبين من ظلمني، احكم بيني وبين من قتل ولدي...(١٠٥)

ونقلا عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش فتقول: يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي(١٠٦).

وينحسب سائر هذا على باقي العترة الطاهرة عليهم السلام فمصيبة الإمام الحسن عليه السلام وما لحقه من الظلم يلحقه الظلم العظيم الذي لحق بالإمام الحسين عليه السلام.. وهكذا.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة(١٠٧).

٤ - الشاكي الرابع: المسجد

للمسجد في الاسلام قدسية ومكانة عظيمة، ولمنزلته احكام شرعية خاصة، يحرم مخالفتها ويُعاقب عليها.

كما ان هناك جزيل الثواب وعظيم العطاء لمن وقّره، وتقيّد بحدوده التي رسمها له الشارع المقدس.

روي عن الإمام الصادقعليه السلام قوله: عليكم باتيان المساجد، فانها بيوت الله تعالى في الأرض، ومن أتاها متطهراً طهره الله من ذنوبه، وكتب من زواره...[١٠٨].

وعن أبي عبداللهعليه السلام قوله ايضا: من مشي إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سحبت له الارض إلى الارضين السابعة[١٠٩].

بل وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: من مشي إلى مسجد من مساجد الله تعالى فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات[١١٠].

بل هي كذلك المساجد المطهرة التي اقيمت لتكون بيوتا للعبادة والتقرب إلى الله تعالى، فيجب على الأمة احترامها، واداء حقوقها كاملة غير منقوصة، وخلاف ذلك يكون الحساب والعقاب.

والمساجد تشكو إلى الله من اشكال متعددة من المخالفات من ضمنها ترك الجار الصلاة في المسجد، كما تذكر ذلك جملة متعددة من الاخبار والروايات المنقولة عن أهل بيت العصمةعليهم السلام.

ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق من قوله: شكت المساجد إلى الله تعالى الذي لا يشهدونها من جيرانها، فأوحى الله عز وجل اليه: وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة، ولا أظهرت لهم في الارض عدالة، ولا نالتهم رحمتي، ولا جاورني في جنتي[١١١].

ومن تلك الشكاوي مسألة تعطيل المساجد وعدم التردد للصلاة فيها، وحيث يشكوا المساجد هذا الأمر إلى الله تعالى.

قال الإمام الصادقعليه السلام: ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلى فيه أهله...[١١٢]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: المصحف، والمسجد، والعترة.

يقول المصحف: يا رب حرفوني ومرقوني.

ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني.

وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا.

قالصلى الله عليه وآله وسلم: فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل: أنا أولى بذلك منك[١١٣].

ثـم ان لتلـك الشـكوى عل وأسـباب كثيرة تنـدرج تحت اطـار مخالفـة الأحكام، وتجـاوز الحدود والاعراض عما أمر الشارع به.

فهنـاك الشـكوى من ارتكاب الموبقات في المسـجد، ومن ادخال النجاسـة فيه، ومـن التحدث فيه بأمـور الدنيـا، ومن اللغو والخوض في الباطل فيه... وغير ذلك مما تصدت لايضاحه وتفصيله الكتب والمصادر المختلفة.

٥ - الشاكي الخامس: العالم بين الجهّال

أشـد مـا يكون على العالم أن يظلم من أمة جاهلة، ومـن أناس جاهلون، فهم لا يدركون حقه، ولا يقيمون لمكانته شأناً، بل هو بينهم ضائع، وفي ظهرانيهم مهمل غير وبه به، رغم ان القرآن الكريم رفع مـن مكانة العـالم، واوصى النبي الاكرمﷺ به، وعلى ذلك الأئمة من أهل البيتعليهم السلام، حتى أصبح ذلك سمة من سمات الاسلام الواضحة والبينة.

قال الإمام الصادقعليه السلام: ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يُصلى فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف قد وقع عليه الغبار لايُقرأ فيه[١١٤].

القسم الثالث

تساؤلات وردود حول المعاد

مدخل

لا مناص من القول بان ما قيل وما يمكن أن يُقال حول الموضوع المتصلة والمرتبط بالمعاد لا يمكن أن يشكّل في حد ذاته رداً شاملاً وحاسماً لكل ما يمكن أن يثار ويشكّل الايمان بها وانكارها محكاً ومقياساً لا مناص من التسليم به من أن الفاصل بين الايمان والكفر، وهو ما سلف منّا الحديث عنه آنفاً مباحثنا السابقة، وأشرنا الى ما يتصل بذلك الايمان وما يرتبط به.

نعم، ولا خلاف في ذلك، لان النفس البشرية لا تكف عن التسائل والاستيضاح حتى عن أدق الامور، وأبسط الاشياء، ولو مراراً وتكراراً، بيد أن ما نزيده هنا القول بان حاصل تحصيل تلك التساؤلات قد يندرج ضمن اطارات ومرتكزات عامة يمكن استخلاص جملة واسعة من الردود من خلالها، والتوصل الى الأجوبة المتعددة من مضامينها.

وعموماً فانّا سنحاول سوية ومن خلال بعض من التساؤلات أو المحطات المحددة التوصل الى ما نريد ابتغاؤه من هذا الباب المفتوح على مصراعيه، وما التوفيق الا من قبل الله العزيز الحكيم.

التساؤل الأول

يقول البعض متسائلا كيف تُجمع يوم القيامة الأجزاء المتناثرة من الجسد البشري؟

الجواب: هو بلا شك تساؤل تكرر منا الإشارة اليه في معرض صفحات كتابنا السالفة، ولعلنا أشرنا إلى جوانبه تحديداً أو عرضاً، ولكنّا لا نجد مناصاً من الجواب عنه هو ولو باختصار وتعجل.

نعم، يتساءل البعض بتعجب واستغراب عن كيفية جمع اجزاء الجسم البشري التي اعتراها التحول والتفوق حتى أمست شتاتاً لا يُعرف، ونثاراً لا يُدرك، وحيث تحول الجسد البشري بعد موته إلى ركام

متهرئ، ثم الي تراب اختلط مع غيره من التراب، بل وحملت الرياح، وجرفت المياه ذلك التراب وفرقته وشتته.

كيف يمكن لهذا الشتات أن يُجمع مرة اخرى؟ نعم كيف يمكن وقد اختلط بغيره من الأجساد المتفتتة الاخرى ولم يعد هناك فاصل بين هذا الجمع وهذه الجماعات؟

أقول: الحديث عن هذه المواضيع والاجابة عليها يستدعي بالمرء ادراكاً ايمانياً واقعياً بالقدرة الالهية التي لا يعجزها شيء وانه جل شأنه المتصف بصفات العلم والقدرة غير المحدودة هي من الدلائل التي لا يسع المرء أمامها إلا القول بان اعادة ذلك الأمر لا يشكل أي صعوبة أو عسر، لان أمره جل شأنه بين الكاف والنون، واذا اراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. فالجسم البشري المتناثر في الأرض، والمتطاير في الفضاء هو بالتالي حقيقة مادة لشيء موجود وايجاد الشيء واعداته أيسر من أن يُخلق من العدم، وهو أمر لا شبهة فيه ولا خلاف.

فهل تأملت أخي القارئ الكريم إلى ما يمكن أن يتفتت من قطع الحديد ويتناثر في أكوام التراب، ويضيع بين دقائقها، كيف يمكن لنا أن نجمعه بسهولة ويسر بواسطة قطعة من المغناطيس، حتى يمكن لنا أن نجمعه بسهولة ويسر بواسطة قطعة من المغناطيس، حتى تكتمل كل القطع تلك وتتراص من جديد؟

هي قطعة معدنية صغيرة لا يؤبه بها جمعت هذا الشتات وأعادته، فكيف بالله تعالى وهو القادر على كل شيء؟!

بلى، أليس من خلق السموات والأرض، وأتقن صنعهن وخلقهن، وخلق الأشياء من العدم، أليس هو بقادر على أن يعيد الانسان بعد موته إلى سابق عهده؟! ثم تجد من يقول بعدم امكانية حدوث ذلك!! ألا يستهجن المرء قول من ينكر ذلك أو يتعجب منه!!

هو البارئ جل اسمه القادر على أن يجمع أدق أعمال العباد - خيرها وشرها، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى طول العصور والدهور - ويأتي بها ليسأل الانسان عنها، ويحاسبه على أساسها.

نعم، هو القائل سبحانه في سورة الانبياء: ﴿**وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[1]

هو كما يحكي جل اسمه على لسان لقمان في وصيته لابنه: ﴿ **يابني إنها إن تك مثقال حبة في خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير**﴾[2].

نعم، هو ذلك القادر على كل شيء فكيف يعجزه أبسط من ذلك؟ ان الأمر لا يستدعي بالمرء مزيداً من البحث والتأمل والتدبر.

التساؤل الثاني

تمـوت في الانسـان خلايـاه الحية، وعلى رأسـها الدماغ، فكيـف نوفق بي ذلك الامـر وبين الاحياء الكامل؟

الجـواب: لا خـلاف بـأن من الثوابـت العلمية التـي لا يختلف فيهـا العلماء كون الانسـان بدماغه يتحكـم بـكل حركاته وأفعاله، وأناصابـة أو عطل أي جزء أو جانب من هذا الدماغ سـيصيب أجزاء معينة من الجسد البشري بالعطل والموت، وهو أمر نشاهده عيانا قبل أو ندرسه نظرياً، ولا نريد هنا أن نستدل بالأمثلة المتعددة على ذلك، لأنه واضح للعيان ومعروف.

نعم، نحن لا نخالف أحداً في قوله هذا بأي شكل من الأشكال، لانه من البديهيات العلمية الثابتة، بين أن لا يتفق مع ما نطرحه من حقائق تقود إلى ادراك امكانية عدوة الانسان إلى سابق خلقه، وسابق ادراكه.

هذا من جانب، ومن جاب آخر فان هناك بعضا من الملاحظات التي يجب أن لا تغرب عن أذهاننا عند حديثنا عن هذا الموضوع:

١ - يبـدو بوضـوح جلي أن ما يذهب اليه المنكر والمعاد، وما يسـتدلون بـه على ذلك هو أن الدماغ وخلاياه هي أدوات وليسـت المنشـئة للأعمال والافعال، وقـد أثبتوا بأن التفكـر والفعاليات المختلفة للانسـان لا يمكـن ان تكون هي خلايات الدمـاغ، وأن هناك علاقة واضحة وبينـة بين خلايا الدماغ تلـك وبين الادراكات والتحسسـات، ولكنهم لم يأتوا بأي دليـل يثبت أن الدماغ و مصدر الادراكات لا كونه أداة لها.

٢ - مـن الحقائـق الكبري التي يعرفها كثير من الباحثين والمفكرين هو مسـألة ونظرية عدم أنطباق الكبـير على الصغـير، وهي ما يذهب إلى القول بوجـود قوة عظيمة غير الخلايا الدقيقـة للدماغ والتي تتوافق عقلياً وعملياً مع الانسياب المنطقي لهذه النظرية.

نعم، فلو أفترضنا أننا جلسـنا على سـاحل أحد البحار الكبرى، والممتدة إلى أقصى الأفق، وأطلقنا لأعيننـا النظـر، متأملـين ما يتمثل أمامنا مـن مناظر ومشـاهد مختلفة، كجملة القـوارب الصغيرة التي تتهادى على سـطح هذا البحر، وحيث تتلاعب الأمواج أيضا بسـفينة كبيرة رأسـية على جانب قريب من الساحل.

ولنفـترض ان القـوت كان آنذاك مشرفاً على المغيب، والشـمس نراها تغيب رويـداً رويداً والقمر يطل شيئاً شيئاً على السماء الممتثلة أمنا أيضاً.

وهنـاك تخطـف أمام البـصر مجاميع رائعة الجمال من طيـور البحر تتمائل على صفحـات المياه، وهي

توشـك أن تـؤوب إلى السـاحل قبـل أن يسـدل الليل بسـتاره على الأفـق، حيث ينتصـب على جانب الساحل جبل عظيم كأن قمته ترتطم بالسماء، وتغيب في جوفها، وبشكل مهيب عظيم، وحيث يشكل الجميع لوحة رائعة عظيمة مترامية الأبعاد.

فلو تأملنا قليلاً في أبعاد هذه اللوحة ثم أطبقناً أعيننا بعدها لوجدنا هذه اللوحة ببحرها العظيم وما يسـتقر في عبابه من سـفينة كبيرة، وبجبلها الكبير الشـامخ، وغير ذلك متجسد في أذهاننا، وكأنه ماثل بعيانه أمام ناظرينا.

أقول: أفلا نسـأل أنفسـنا أين ارتسـم هذا المنظر وهذه اللوحة الكبيرة والعظيمة؟ هل ارتسمت في الخلايـا الدقيقـة للدماغ، وهو ما يخالف النظرية المذكورة، أم أن هناك قسـماً أخر هو الذي احتوى هذا الشـكل الكبير، وأحاط بكل أبعاده بسـهولة ويسر، وهو غير مادي قطعاً لانه يبقى دون ما رآه ويراه، وهـو مـا يقطع بوجـود الروح التي لا يعسر عليها هذا الأمر قطعـاً، وهذا ما يؤكد بـأن خلايا الدماغ ليست إلا أدوات كما ذكرنا آنفاً[٣].

التساؤل الثالث: شبهة الآكل والمأكول

لعل القارئ الكريم يسـتذكر معنا أنا تحدثنا عن جانب من هذه الشـبهة آنفاً في مبحث قصة ابراهيم الخليل عليه السلام والطير، وهذه الشـبهة كما لا يخفى عليه من الشـبهات القديمة التي ما أنفك البعض يرددها رغم أن التساؤل عنها بعد، والجواب عنها كثر وتعدد.

فهذه الشـبه تقول باننا بعد الموت نتحول إلى تراب يختلط بغيره من التراب، ثم تمتص الأشـجار من التراب ما يمكنها من أ تعطي ثماراً يانعة طيبة تمتد اليها اليد لتقطفها وتأكلها، وهذه اليد وما يتصل بها من جسد سيحل به الموت ويتحول مرة اخرى إلى تراب وهكذا دواليك... فكيف يمكن ان يعود هذا الانسان وقد أكل وأُكل أكثر من مرة، واختلط بغيره من الأجساد والأبدان؟

قلنا بأن هذه الشبهة كانت محل بحث قديم وقد عرض لها كلام الكلام والفلاسفة بالمناقشة والرد، وبالشـكل الذي لم يدع للمتذرع بها كدليل على عدم امكانية وقوع المعاد الجسـماني حجة يحتج بها، ولا ذريعة يتذرع بها.

ونحن لن نحاول هنا الاسـتغراق في البحوث الفلسـفية والكلامية الشـائكة قدر ما نحاول أ نجد أيسر ما نتمكن به من الحديث عن هذا الأمر، والاستدلال على ما نؤمن به، وما هو حقيقة الحال والمآل لنتوقف عن قصة ابراهيم عليه السلام، وكيف أنه ذبح هذه الطيور، ثم خلط لحومها ببعض، ومن بعد فرقها على أماكن متعددة، ثم دعاهن اليه، فأعادهن الله تبارك وتعالى إلى سابق عهدهن كأن شيئً لم يكن... أليس

في ما نؤمن به ن قدرة الله تعالى حجة كافية لابطال دعاوى المنكرين والمشككين؟

ثـم لـو افترضنا بأن هذا الانسـان قد أكل وأُكل واختلطت كل خلايـاه بخلايا الآخرين، ألا يكفي وجـود خليـة واحدة مما لا عد ولا حصر من خلاياه المختلفة لان تتكامل وتعود إلى سـابق عهدها، بل وأن تعـرف عن هذا الإنسـان والذي لم يكـن في رحم مُنه إلا خلية واحدة فتكامـل من بعدها وأصبح إنساناً.

ألم تنظـر أخـي القارئ الكريم الي الحبـات المتناهية الصغر لبعض الثـمار، والتي أخذت منها، كيف يعمـد المـزارع إلى بذرهـا في أرضه، مبعثراً لها بـين أموات التراب، أو مواريـاً لهـا في حفر ترابية صغيرة، بحيث يعسر علينا النظر اليها أو تأملها إلا بجهد ومشقة، ألم ترى كيف تتحول هذه الحبات بعد أسابيع أو أيـام إلى نبتـة تثمـر بعد حين، ثم تعود إلى سـابق ما كانت عليه، بحيث يمكننـا ان نعيد هذه التجربة مرات ومرات لنرى كيف يمكن أن تعود إلى حالتها السابقة.

انها قدرة الله تبارك وتعالى، ولن يعجزه جل اسـمه شيء ابداً، ولكنا نضرب الأمثال ونتحاور ليس إلا.

نعم، وهناك الكثير الكثير من الأمثلة التي نراها أمام أعيننا صباحاً ومسـاءً وكلها تنبئ الإنسـان بما يعمد البعض اناكره ومعاندته بجهل وحماقة لا تغتفر.

فهـذا الانسـان الضعيـف ألم نرى كيف قام باسـتخراج البنزين ومشـتقاته، والزيـت والقير ومواد صناعة اطارات السيارات وغير ذلك من النفط السائل الاسود الذي كان يسيل في بعض الأزمنة على الأرض والنـاس لا تعـرف مـاذا هو، وما هي فائدته... أيعجز الله أمر كهـذا وهو الخلاق العليم الذي أتقن كل شيء صنعه وخلق الانسان من طين!!

التساؤل الرابع: مسألة الأحباط والتكفير

يسـتدل من يذهب إلى القول بالاحباط والتكفير بجملة من الآيات القرآنية المباركة، والتي يذهب مـن خـلال ذلك إلى القول بـان المعصية المتأخـرة للمكلف تحبط ما تقـدم من ثواب لـه، وكذا الطاعة المتأخرة تكفّر ما تقدّم من ذنوبه.

ولعـل من تلك الإيات قوله تعالى في سـورة الزمر: ﴿لئن أشـركت ليحبطـن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[٤].

وقوله جل اسمه في سورة الحجرات: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾[٥].

وقوله عز من قال في سورة التوبة: ﴿اولئك حبطت أعمالهم﴾[٦].

وغيرهـا من الآيات الكريمة المباركة الاخرى، حاملين هذه الآيات وغيرها على تصور خاص بهم يستدلون به على ذلك، وهو ما سنناقشه لاحقاً بإذن الله تعالى.

أقول: لا خلاف فيه بأن ما اشتهر بين الشيعة الإمامية هو القول ببطلان مسألة الاحباط والتكفير، وذلك لأنهم قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة، أي أن الثواب على الايمان مشروط بأن يعلم الله تعالى من المرء موته على الإيمان، ومثل ذلك في مسألة العقاب.

ولعـل مـــن أوضح مصـاديق التعـارض مع ما يذهب اليـه القائلون بهـذا الأمر هـو خـلافه البين مـــع قولـه تعالى في ســـورة الزلـزلة: ﴿فمـن يعمل مثقال ذرة خيـراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شـراً يره﴾[٧].

فالقائلون بالتكفير والاحباط يذهبون ضمن تصورهم هذا إلى أن من يموت بعد ارتكابه للمعصية المتأخرة سـوف لا يجد في ميزانه ما قدم من الحسـنات والاعمال الطيبة التي سـلف له أن عمل بها أول عمره، فكيف يمكن لذلك أن يتوافق مع قوله تعالى المتقدم بان من يعمل مثقال ذرة من خير وشر فإنه سوف يراه؟!

ان القول بالاحباط - مثلا - والذي تتعرض له جملة من الآيات الكريمة المباركة تشـير إلى مسـائل الاقـدام عـلى الافعـال الكبيرة كالكفـر أو الارتداد مثلاً عن الاسـلام، أو تكذيب ما نـزل من الآيات القرآنية الكريمة وغير ذلك مما يتناسب وهذا المستوى من المعصية الكبيرة.

وكـذا هـو الحـال بالنسـبة للتوبـة الصادقة في آخـر العمـر، والعمل على المبـادرة بالاعمال الحسـنة الطيبـة فانه مما سـيمحو عن ذلك التائب ما ســلف مـن أعمال معصـية وذنوب نـدم على الاتيان بهـا واقترافها.

بيد أن الإنسـان الذي يجمع بين الاعمال الحسـنة والسـيئة فان ذلك سـيوضع يوم القيامة في ميزان اعماله، فايهما يرجح فانه سيكون هناك جزاء يتناسب وحاصل هذه الموازنة.

وعموماً فأن هذه المسألة من المسائل الدقيقة التي تناولها بالشرح جملة واسعة من العلماء والمفكرين، وأولوها اهتماماً ورعاية تناولت الكثير من أبعادها ومعطياتها المختلفة.

فهـذا المحقـق الطوسي رحمه الله تعـالى في تجريده يذكر عند تعرضه لهذه المسـألة ما نصه: والاحباط باطل لاستلزامه الظلم، ولقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[٨].

وذكـر العلامـة الحلي رحمه الله في شرحـه لهذه العبارة: اختلـف الناس هنا، فقال جماعـة من المعزلة بالاحبـاط والتفكـير، ومعناهمـا: ان المكلف يسـقط ثوابـه بالمتقدم بالمعصيـة المتأخـرة، أو يكفر ذنوبه المتقدمة بطاعته المتأخرة، ونفاهما المحققون.

ثم القائلون بها اختلفوا، فقال أبوعلي: إن المتأخر يسقط المتقدم، ويبقى على حاله، وقال أبوهاشم: إنـه ينتفـي الأقـل بالأكثـر، وينتفي مـن الأكثر بالأقـل ما سـاواه، ويبقى الزائـد مسـتحقاً، وهذه هي الموازنة.

ويدل على بطلان الاحباط أنه يستلزم الظلم لأن من أساء وأطاع وكانت اساءته أكثر يكون بمنزلة من لم يسيء، وإن تسـاويا يكون مسـاوياً لمن لا يصدر عنه أحدهما، وليس كذلك عند العقلاء، ولقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٩].

واضاف رحمه الله في مناقشته لمسألة الموازنة التي قال بها ابوهاشم باعتماد قول المحقق الطوسي رحمه الله تعـالى: ولعـدم الاولوية إذا كان الآخـر ضعفاً وحصول المتناقضين مع التسـاوي، حيث قال إنا إذا فرضنا اسـتحقاق المكلف خمسـة اجزاء من الثواب، وعشرة اجزاء من العقاب، وليس اسـقاط احدى الخمسـتين من العقاب الخمسـة من الثواب أولى من الأخرى، فإما ان يسـقطا معاً وهو خلاف مذهبه، أو لا يسقط شيء منهما، وهو المطلوب.

ولو فرضنا أنه فعل خمسـة أجزاء من الثواب، وخمسـة أجزاء من العقاب، فإن تقدم اسقاط أحدهما للآخر لم يسـقط الباقي بالمعدوم لاسـتحالة صـيرورة المعدوم والمغلوب غالباً ومؤثـراً، وان تقارنا لزم وجودهمـا معـاً، لأن وجود كل منهما ينفي وجود الآخر فيلـزم وجودهما حال عدمهما، وذلك جمع بين النقيضين[١٠].

التساؤل الخامس: شبهة إعادة المعدوم

من المسـائل المتكررة الطرح من قبل المنكرين لحقيقة البعث الجسـماني للانسـان، واعادته إلى سابق هيئته التي كان عليها ابان حياته السـالفة، هي مسـألة التعجب من كيفية حصول ذلك، وكيف وقوعه بعد أن تحول جسـم ذلك الانسـان إلى تـراب واختلط بغيره من التراب، أو غـير ذلك من الأمور التي تحيط ببدن الإنسان بعد موته.

وهـذه المسـألة كما لا يخفي على القارئ الكريم قد سـبق لنـا تناولها بالكثير من الـشرح والتفصيل، وبالأخص في مباحث المعاد الجسماني للانساني، فليراجع من أراد ادراك ذلك وليتأمل.

التساؤل السادس: عدم مساءلة المجرمين

يتسـاءل البعـض عن علة ما يـراه من تعارض بين ما يعرفه ممـا قرأه في العديد مـن الآيات القرآنية المباركـة والاحاديـث الشريفـة عن سـؤال الانسـان عن أعمالـه وما تقرف أو احسـن، حيـث يقرأ في

مواضـع اخرى مـن القرآن خلاف ذلك كما في قوله تعالى في سـورة القصص: ﴿لا يُسـئل عن ذنوبهم المجرمون﴾[١١].

وقوله جل اسمه أيضاً في سورة الرحمن: ﴿فيومئذ لا يُسئل عن ذنبه إنس ولا جان﴾[١٢].

أقول:لـو تأملنا في الآية الاولى لوجدناها تندرج ضمن آيات متسلسـلة تتناول قصة قارون وكيف نُهي عن الفساد في الأرض، وماذا كان رده على ذلك.

ولنتأمـل سـوية في ذلـك، حيث قـال تعالى: ﴿إن قـارون كان من قوم موسـى فبغى عليهـم وآتيناه مـن الكنـوز ما إن مفاتحه لتنـوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفـرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتـغ فيمـا آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسـن كما أحسـن الله اليك ولا تبغ الفسـاد في الأرض إ الله لا يحب المفسـدين * قال إنما اوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يُسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾[١٣].

فما يُستشـف مـن ذلك أن الآية هذه مرتبطـة بالدنيا كما لعل الظاهر منها هـذا، والله تعالى هو العالم بكل شيء.

وأما لو فرضنا بانه ذا الامر مرتبط بيوم القيامة فانه ما يمكن فهمه من الاية كونها تدل على علم الله تعالى بحال هؤلاء المجرمين، ومقدار ما أسرفوا فيه من الظلم والفسـاد بالشـكل الذي لا يستدعي فيه له أي تساؤل.

ثـم اننا نعلم كما بينت ذلك العديد مـن الروايات الشريفة بأن هناك في يوم القيامة مراحل متعددة، ومواقف متلاحقة، فلعل مرحلة من تلك المراحل يُستغنى فيها عن سؤال هؤلاء المجرمين بعد أن تمت مساءلتهم في مواقف اخرى سابقة.

التساؤل السابع: ما هو حوض الكوثر

جملة متعددة من التسـاؤلات يرددها الكثيرون عن ماهية حوض الكوثر، وأين هو، ما هو سـاقيه، وما هي أوصافه، وغير ذلك

أقول: التعرض إلى هذا الموضوع يمكن ادراجه ضمن جملة من الحلقات المتلاحقة التي يجب ان لا تخفى على القارئ الكريم:

١ - لا خـلاف بـأن هـذا الحوض هو من حيـاض الجنة، والاعتقـاد به من المسـلمات البديهية التي لا محل للشـك به أبداً، وحيث ورد التغليظ الشـديد على انكاره كما في قول رسـول اللهﷺ: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي[١٤].

وعموماً فقد كثرت الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمةعليهم السلام، والمتعرضة لهذا الأمر، بحيث نجد مثلاً في بحار الأنوار، ان الشيخ المجلسي رحمه الله تعالى يورد في مجلده الثامن البحار سلسلة من الاحاديث تصل إلى الثمانين حديثاً، وغير ذلك فتأمل.

٢ - لو تأملنا في القرآن الكريم لوجدنا التصريح واضحاً باسم هذا الحوض كما سورة الكوثر: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ومن هنا فقد استعاضت الروايات الشريفة هذه التسمية للتعريف به، والتنوية اليه، وهي كثيرة متعددة أردات جملة منها ايقاف المسلم على المراد به، والكرامة العظيمة له.

فمن ذلك ما روي من ان ابن عباسرضي الله عنه سأل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن ماهية هذا الحوض فأجابه: نهر أكرمني الله تعالى به.

وإما الإمام عليعليه السلام فقد سأل رسول اللهصلى الله عليه وآله عن هذا الحوض وابتغى منه تعريفه له.

فقال لهصلى الله عليه وآله: نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وإلين من الزبد، وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، وحشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عز وجل[١٥].

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ صعد رسول اللهصلى الله عليه وآله المنبر فقرأها على الناس، فلما نزل قالوا: يا رسول الله، ما هذا الذي أعطاكه الله تعالى؟

فقالصلى الله عليه وآله: نهر في الجنة، أشد بياضاً من اللبن، وأشد استقامة من القدح، حافتاه قباب الدر والياقوت، ترده الطير الخضر لها أعناق كأعناق البخاتي.

قالوا: يا رسول الله، ما أنعم تلك الطير.

قالصلى الله عليه وآله: أفلا اخبركم بأنعم منها؟

قالوا بلى.

فقالصلى الله عليه وآله: من أكل الطائر، وشرب الماء، وفاز برضوان الله وتعالى.

وروى عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله تعالى نبيه عوضاً عن امته.

وعن أنس أنه قال: بينما رسول اللهصلى الله عليه وآله ذات يوم بين أظهرنا إذ غفى إغفاءً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت له: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: أُنزلت علي آنفاً سورة، فقرأصلى الله عليه وآله سورة الكوثر.

قال أنس: ثم قالصلى الله عليه وآله: أتدرون ما الكوثر؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال‌ﷺ: فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أُمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج القرن منهم، فأقول: يارب إنهم من أُمتي، فيُقال إنك لا تدري ما أحدوث بعدك[١٦].

وفي رواية أن رسول الله‌ﷺ خاطب علياً‌عليه السلام بقوله: يا علي إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي.

والتأمل في الكثير من الروايات المنقولة عند الفريقين تبين أن هناك ساقياً يقف على هذا الحوض ليسقي الناس من مائه، وأن هذا الساقي هو الإمام علي بن أبي طالب‌عليه السلام، يسقي منه المؤمنين ويذود عنه المنافقين والكافرين.

فمن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري من أنه نقل عن رسول الله‌ﷺ قوله لعلي‌عليه السلام: يا علي، معك يوم القيامة عصاً من عصي الجنة، تزود بها المنافقين عن الحوض.

وعن أبي ايوب الانصاري ان النبي محمد‌ﷺ قال في حديث يتعرض فيه وصف إلى وصف الحوض: لا يرده أحد من امتي الا النقية قلوبهم، والصحيحة نياتهم. المسلمون للوصي من بعدي الذين يعطون ما عيهم في يسر ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يزود الرجل البعير الأجرب عن إبله، من شرب منه لم يظمأ أبداً[١٧].

وروي الصدوق في أماليه عن الإمام علي بن موسى‌عليه السلام ان رسول الله‌ﷺ خاطب علياً‌عليه السلام بقوله: يا علي، أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني.

وعنه‌عليه السلام ايضا قول رسول الله‌ﷺ: من أراد أن يتخلص من هول القيامة فليتول ولي وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب، فأنه صاحب حوضي، يذود عنه أعداءه، يسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشاناً، ولم يرو أبداً، ومن سقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً[١٨].

وعن الإمام علي‌عليه السلام قوله: والله لأذودن بيدي هاتين القصيرتين حوض رسول الله‌ﷺ أعداءنا وليردنه أحباؤنا[١٩].

التساؤل الثامن: البدن المبعوث يوم القيامة

هناك مسألة يرددها البعض متسائلا فيها عن البدن الذي سيُعيده الله تبارك وتعالى يوم القيامة ليقف للحساب، أو لينال الجزاء.

وما يحتج بها يرتكز على مبدأ علمي، وقاعدة معروفة هي ان جسد الإنسان في حالة تغيير دائمي،

وتبدل مستمر، وخلاياه كما هو معروف في حالة تجديد تلاحق، حتى ان الانسان يعد بتغير جميع جسده في حدود سبع سنوات متلاحقة.

حالة كحال حوض السباحة الذي يتصل بماء ينصب فيه، فلابد أن يحل الماء الجديد محل ما سبقه.

اذن فأي جسد هو الذي سيحُشر يوم القيامة، لاسيما ونحن نقول بنظرية تبدل جسم الانسان كل سبع سنوات فان هناك سبعة أجساد متكونة خلال سبعين سنة كما هو واضح.

فهل ستعود جميع تلك الابدان، أو واحد منها فقط؟

واذا قلنا بأن أحدها سيعود، فان واحد من تلك السبعة هو العائد؟

أقول: لنا أن نتساءل ما الذي يمنع أن تعود جميع تلك الأجساد مرة اخرى، ثم ان المفروض أن يعود الجسد الاخير الذي فارق فيه الانسان عالم الفناء، لاسيما وأن القرآن الكريم يحدثنا عن بعث للاجساد الميتة والابدان المقبورة، فلابد أن يكون المقصود بها الجسد الذي حل به الموت، وهو آخر الاجساد كما هو واضح ومتوارد على الأذهان.

ثم ان الامر الذي يجب أن لا يغرب عن ذهن القارئ الكريم أن قولنا بتعدد الاجساد هو فرضي قطعاً، فليس هناك إلا جسد واحد يتجدد ويتغير، وان الاصل في كل ذلك باق وثابت، فهذا الجسد الآخير هو خلاصة جميع تلك الاجساد، وعصارتها الاساسية، وان جميع الصفات التي كانت تمتلكها الاجساد الآنفة في مراحل عمر الانسان المتلاحقة كلها متجسدة في آخر تلك الاجساد ومتمثلة به كما هو واضح.

كما ان هذا القول يجرنا للحديث عن الجسد الموجود في الجنة، وهو ما نعرفه جميعاً بأنه جسد شاب، صحيح وقوي، لينعم بالجنة وما فيها، فإن لم يكن هو أصل ذلك الجسد، فأي واحد من تلك الأجساد التي نفترض تعددها؟

هو بلا شك عين الجسد، ولكنه مثل الجسد المتهلهل الخرق الذي يعيده الله تعالى إلى عزة وعنفوانه وقوته لينال ويغترف من النعيم الذي لا حدود له ولا مثيل، ولا حصر لها ولاعد.

هو هو بلا شك، ولكنه في أفضل مراحله وأصحها وأقواها، وما ذلك الا فضل من الله تعالى ومنه. وأخيراً فان ما يتلخص من كل ما تقدم من الحديث أن هناك أصل واحد يتغير ويتجدد، وأن هذا التجدد والتغير يرتكز على الأصل وعلى الاساس في الوجود الاولي للجسد الانساني، فهو تلك النطفة التي تكاملت ثم أمست جسداً لطفل رضيع، ثم إلى صبي وهكذا حتى شاخ وهرم ودب فيه الضعف والخوار والمرض ليحل به الموت بعد ذلك لو امتد به الأجل إلى ذلك الحين.

التساؤل التاسع: هل أن الجنة والنار موجودتان فعلاً؟

لا خلاف في نظر العلماء والباحثين ان الجنة والنار موجودتان فعلاً[٢٠] لما يتبين وضوح ذلك من الكثير من الآيات القرآنية المباركة، والأحاديث الشريفة المتعددة المنقولة عن أهل بيت العصمة الأطهار عليهم السلام.

فنحن لو تصفحنا كتاب الله تعالى لوجدنا الذكر الكثير لهذا الأمر، والقاطع بما قلنا من الوجود الفعلي لها.

فمن ذلك قوله تعالى فى سورة النجم: ﴿**ولقد رآه نزلة أُخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى**﴾[٢١].

وكذا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿**أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾[٢٢].

وقوله تعالى في نفس السورة أيضاً: ﴿**وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار**﴾[٢٣].

وكلمة (أعد) كما يعلم القارئ الكريم هي فعل ماض يشير إلى وضوع الشيء آنفاً.

ومن ذلك أيضاً قوله جل اسمه في سورة آل عمران: ﴿**واتقوا النار التي أعدت للكافرين**﴾[٢٤].

وقوله تبارك شأنه في سورة الكوثر: ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم**﴾[٢٥].

وغير ذلك مما لا يعسر على القارئ الكريم ادراكه وتأمله.

وأما الأخبار الشريفة فقد تعرض الكثير منها إلى الأمر، وأشار اليه بوضوح، بل وحتى أجاب على جملة التساؤلات المتناولة لهذا الوجود.

فمن ذلك ما روي من أحد أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال له بان فلاناً يزعم ان الجنة لم تُخلق.

فأجابه الإمام عليه السلام: كذب، فأين جنة آدم؟![٢٦].

وعنه عليه السلام أيضا وقد سئل نفس ذلك السؤال: نعم، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة، ورأى النار لما عُرج به إلى السماء.

ولما أُخبر عليه السلام عن المنكرين لذلك قال: ما اولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد جذب النبي وكذبنا، وليس من ولايتنا على شيء[٢٧].

وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اني لما اُسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبي، وناولني من ثمارها فأكلته، فحول الله ذلك ماء في ظهري، فما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبي منها[٢٨].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء: المعراج والمساءلة في القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة[٢٩].

وغير ذلك من الروايات والأخبار الكثيرة المتعددة.

بقي لنا أن نقول بأن رؤية هاتين المخلوقين غير متيسرة لأحد البشر في عالم الفناء هذه إلا في حصول الاستثناء كما في حال المعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله، وما يمكن ان يصل اليه الانسان بتقواه وصفاء روحه ونقائها، حيث يكشف له الباري جل اسمه الحجاب عن ذلك ويرى كل ذلك عياناً.

ولعل القليل من التأمل يكشف وضوح امكانية ذلك، فقول لله تبارك وتعالى في سورة التكاثر: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم﴾ شاهد على امكان ذلك كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وذلك الأمر مصاديق مادية نجدها واضحة في حياتنا العملية، والتي تستلزم قليلاً من التأمل والتدبر.

نعم، انما يعوز ذلك هو الوسائط الموصلة اليه، والمؤدية إلى ادراكه، كما لو افترضنا ان هناك صوتاً يجلجل في امريكا يسمعه اهل تلك البلاد، ويستحيل على سواهم من البقاع الاخرى سماعه، ولكن يتوفر نقل الصوت المختلفة نجد امكانية حدوث ذلك وبسهولة ويسر.

التساؤل العاشر: أول المبعوثين من القبور يوم القيامة

يتساءل البعض: من هو أول من يُبعث من قبره يوم القيامة؟

والجواب عن ذلك في غاية اليسر، تعضده الروايات والأخبار المنقولة عن النبي الأكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله في صدد ذلك.

فقد نقل عنه – مثلا – قوله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام: أخبرني جبرئيل عن الله عز وجل انه قال: «أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة: أنا، ثم أبي إبراهيم، ثم بعلك علي بن أبي طالب...[٣٠]

التساؤل الحادي عشر: أهم ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة

توضح الآيات المباركة في الكتاب العزيز ان الانسان بلا شك يُسأل يوم القيامة عن جميع أعماله وأفعاله، لانها المصداق المادي على إيمانه أو جحوده.

قال تعالى في سورة النحل: ﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾[٣١].

بيد اننا لو تأملنا في مطاوي العديد من الآيات المباركة لوجدنا ان هناك جملة من التساؤلات المهمة التي ستكون في صدارة ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة.

وعموماً فسنحاول أن نستعرض سوية جملة مما ينصب في هذا المبحث ضمن نقاط واشارات مختصرة.

١ - قال تعالى في سورة التكاثر: ﴿ثم لتسئلن يؤمئذ عن النعيم﴾[٣٢]

وللنعيم بلا شك مصاديق كثيرة في حياة الانسان، تندرج ضمنها الكثير مما لا عد له ولا حصر من العطايا الالهية التي أسبغها جل اسمه عليه، مادية كانت تلك العطايا أم روحية.

إلا أن هناك جملة معروفة تشكل في حقيقتها أهم النعم وأعظمها في حياة الإنسان والتي تمثل أهم ما يمكن ان يُسئل عنه الإنسان.

أنها: الايمان، والولاية، والدين، والإسلام، والقرآن، حيث يُسئل الانسان إن كان قد أدى حقوق تلك المنن والعطايا العظيمة.

بل ونجد العديد من الروايات تشير إلى ان النعيم المراد في هذه الآية هم أهل البيت عليهم السلام كما في ما نُقل عن الإمام الصادقعليه السلام من قوله: النعيم نحن أهل البيت..[٣٣]

وعن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قوله: أولما يُسأل عنه العبد حبنا أهل البيت[٣٤].

٢ - وقال جل اسمه في سورة الاسراء: ﴿إن السمع والابصار والفؤاد كل اولئك كان مسؤولاً﴾[٣٥].

فهذا جانب آخر من التساؤل الذي سيحيط بالانسان يؤمئذ، وهو ما يتصل بالفكر والعقيدة وغير ذلك مما يتصل بهذه الحواس.

٣ - وأما في سورة العنكبوت فقد قال جل اسمه: ﴿وليُسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾[٣٦].

فهاهم الذين افتروا على الله تعالى ورسوله ودينه الكذب تقام عليهم الحجة يوم القيامة، ويُسألون عن كل ذلك.

٤ - وفي سورة الزخرف يقول تبارك وتعالى: ﴿ستُكتب شهادتهم ويُسألون﴾[٣٧].

ان ما سجّله الملائكة من أفعال الانسان واعماه المختلفة طيلة حياته وما تم تدوينه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، كل ذلك سيُسأل عنه الانسان يوم القيامة.

٥ - وفي سورة التكوير يقول سبحانه وتعالى: ﴿وإذا المؤدوة سئلت * بأي ذنب قتلت﴾[٣٨].

فهؤلاء الآباء الجفاة والقساوة القلوب سيقفون للسؤال يوم القيامة عن علة قتلهم لبناتهم ودفنهم في التراب ظلماً وعدواناً.

٦ - وأما الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله فيقول: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله حتى يسأله

تعالى عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسـدك فيما أبليته، ومالك من أين أكسـبته، وأين وضعته، وعن حبنا أهل البيت(٣٩).

٧ – وعن الإمام الباقرعليه السلام قوله: أول ما يُحاسب به العبد الصلاة، فإن قُبلت قُبل ما سواها(٤٠).

٨ – وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: أين صاحبها؟ فليستعد غداً للخصومة(٤١).

٩ – وعنه صلى الله عليه وآله أيضا: كل نعيم مسؤول عنه يوم القيامة إلا كان في سبيل الله تعالى(٤٢).

١٠ – وأما الإمام الصادقعليه السلام فقد روى عنه قوله: ان الله تعالى اذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد اليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم(٤٣). وهذا الحديث واضح بيّن لا يحتاج إلى شرح وتفصيل.

١١ – ولـو عدنـا إلى القـرآن الكريم وتأملنا ما جـاء من قوله تعالى في سـورة الصافات: ﴿**وقفوهم انهم مسـؤولون**﴾(٤٤) لوجدنا ان هناك تفسـير لما يكـون عليه هذا الأمر، وهذا التسـاؤل، والذي تبينه الروايات بانه ولاية الأمام علي بن ابي طالبعليه السلام.

فقـد روي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله قوله: اذا كان يوم القيامة ونُصب الـصراط على جهنم لم يجز عليه إلا مـن معه جواز فيه ولايـة علي بن أبي طالـب، وذلك قوله تعالى: ﴿**وقفوهو انهم مسـؤولون**﴾(٤٥) يعني عن ولاية علي بن أبي طالب(٤٦).

١٢ – وعن رسـول الله صلى الله عليه وآله قوله: أنا أول قادم على الله تعالى، ثم يقدم عليّ كتاب الله تعالى، ثم يقدم علي أهل بيتي، فيقفون فيسألهم ما فعلتهم في كتابي وأهل بيت نبيكم.

١٣ – وعـن الإمـام عليعليه السلام أنه قـال: اتقوا الله تعالى في عبـاده وبلاده، فانكم مسـؤولون حتى عن البقاع والبهائم(٤٧).

وغـير ذلك مما يسـتطيع القارئ الكريم اسـتخلاصه من مطاوي الكتاب العزيـز أو الكتب الحديثة المختلفة.

التساؤل الثاني عشر: من هم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال؟

التأمـل في الكثـير من الآيـات القرآنية المباركـة، والأحاديث الشريفة المتعددة، يظهـر ان البشر يوم القيامة وبعد انتهاء الحسـاب والمسـاءلة ينقسـمون إلى أقسـام معينة، فمن أُوتي كتابه أو صحيفة أعماله بيده اليمنى فإنه من الفائزين السعداء بما آل اليه حالهم بعد الحساب.

وأما من كان كتابه بشـماله فهو في العذاب والخزي المهين يوم القيامة، وحيث ينتابه الندم، ويطحنه الحزن المقيم.

نعـم، ان عبـارة اصحـاب اليمين واصحاب الشـمال تتكرر كثـيراً في الآيات القرآنيـة والروايات، والمقصود بها الحالة المميزة لنتائج الأعمال يوم القيامة، وحيث شاءت ارادة البارئ جل اسمه أن يكون أهل النعيم هم أصحاب اليمين، وأهل الشقاء والعذاب هم أصحاب الشمال.

ولا مناص من القول بأن هذا التقسيم هو الذي جعله أمنية المؤمنين بأن يكونوا من أصحاب اليمين لئلا يلحقهم عذاب أصحاب الشمال، لانهم يدركون ما سيلحق بهم من الخزي والمعاناة والعقاب.

نعم، ولو تأملنا في أدعية أهل البيت عليهم السلام لوجدناهم يصرحون بأن تدعو الأمة من بعدهم بالطلب إلى البارئ جل اسمه أن يجعلهم ممن يأخذون كتابهم بيمينهم لا بشمالهم.

نقـرأ عنهـم عليهم السلام دعاءهم: اللهـم اعطني كتـابي بيمينـي... الله لا تعطني كتابي بشـمالي ولا من وراء ظهري.

فهم يعلمون عليهم السلام ان: **﴿من أوتي كتابه بيمنيه * فسـوف يُحاسـب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً﴾**[٤٨].

ولعل مسـألة هذا التصنيف هي من باب التقسـيم الأسـاسي بين السـعادة والشـقاء كما يذكر ذلك العلامـة الطبطبائـي (رحمه الله)، حيث نجد انعكاس ذلك على الحياة العملية للإنسـان، بحيث أمسـى كناية الإقدام على عمل الخير باليد اليمنى، والأعمال خير المناسبة باليد اليسرى.

ثـم هـل تأملت أخي القارئ الكريم إلى ان الناس اعتادت على أن تأكل طعامها بيدها اليمنى، حين تستنجي بيدها اليسرى، وكأن ذلك مصداق عيني على هذا التمييز الدنيوي.

وعمومـاً فان في أعمال وخلاصة نتائج الاعمال لهاتين الجماعتـين مصاديق مؤشرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة، وكثيرة هي، ولنتأمل فقط ي بعض الآيات الواردة في سـورة الحاقة فحسـب تاركـين للقارئ الكريم حرية العـودة والتأمل في غير ذلك من الآيات المباركة الاخرى والكثيرة حول هذا الموضوع.

قـال تبـارك وعإلى في بعض آيات هذه السـورة **﴿يؤمئذ تُعرضون لا تخفـى منكم خافية * فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأو كتابيه * أني ظننت أني ملاق حسـابيه * فهو في عيشـة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * قلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفت في الأيام الخالية، وأما من أوتي كتابه بشـماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسـابية * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانية * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسـلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسـكين * فليس له اليوم ها هنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾**[٤٩].

التساؤل الثالث عشر: ما المراد بأبواب الجنة وأبواب النار؟

نقرأ في سورة الحجر قوله تعالى: ﴿إن جهنم لموعدهم أجمعين * بها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾[٥٠].

كنا اننا نقرأ في العديد من الروايات الشريفة ان للجنة ايضا ثمانية أبواب، كما يُنقل لذلك عن الأئمة المعصومين عليهم السلام[٥١].

فما المراد بهذه الأبواب، والعلة في ذلك، وبل وما كيفية هذه الأبواب، انها جملة تساؤلات تستدعي بالمسلم البحث عن اجابة وافية لها، وعلة مبينة لماهيتها.

أقول: ان تسمية الأبواب السبعة في جهنم المراد بها - كنا تذهب إلى لك التفسيرات المختلفة لها - الطبقات السبعة لها، فكل باب هو طبقة من طبقات جهنم بما فيها من نوع معين من العذاب، أو درجة منه.

وقد تعرّض العلامة المجلسي (رحمه الله) إلى توضيح ذلك ذاكراً ان لهذا الأمر تفسيران اثنان:

أولهما ما نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: إن جهنم لها سبعة ابواب، اطباق بعضها فوق بعض، ووضع عليه السلام احدى يديه على الأخرى وقال: هكذا.

ثم ذكر رحمه الله تعالى تسمية هذه الطبقات متسلسلاً من أدنى هذه الطبقات نحو أعلاها بالشكل التالي:

١ - جهنم.

٢ - لظى.

٣ - لحطمة

٤ - سقر

٥ - الجحيم

٦ - السعير.

٧ - الهاوية.

وأما ثاني القولين فهو ما نُقل عن الضحاك من أن المراد بها دركات جهنم، وهي متقابلة مصنفة كل واحدة لجماعة من الجماعات.

وهذه الدركات مقسمة بالشكل التالي:

الدركة الأولى: وهي مختصة بأهل التوحيد ممن قارفوا السيئات واجترحوا المآثم، فهم فيها حتى يؤذن لهم بالخروج منها.

الدركة الثانية: وهي مختصة باليهود.

الدركة الثالثة: وهي مختص بالنصارى.

الدركة الرابعة وهي مختصة بعبدة النجوم.

الدركة الخامسة: وهي مختصة بالمجوس.

الدركة السادسة: وهي مختصة بالمشركين من العرب

الدركة السابعة: وهي مختصة بالمنافقين، وهم يشكلون في موقعهم هذا الدرك الأسفل، وحيث توقد تحتهم مباشرة نار جهنم.

وخلص العلامة المجلسي (رحمه الله) تعالى بالقول بأن هذين القولين قريبان من بعضهما[٥٢].

وعموماً فإن النار التي لا يُوصف عذابها، ولا يُصحى ما من أنواع الألم والمعاناة والعذاب والنكال، والشدة والضيق، هي هي وما أدراك ما هي، هي النار التي لا تُبقي ولا تذر، النار التي أعدها العظيم الجبار لسخطه، فليتأمل في ذلك المتأملون، وليتدبر المتدبرون، وليعد كل امرئ عدته لئلا يكون من المحشورين فيها، والمسجونين بي أطباقها، أعاذنا الله وتعالى جميع المؤمنين والمؤمنات منها[٥٣].

وأما في ما يختص بالجنة فقد ورد التعريف بأبوابها الثمانية بأنها ثمان طرق بالعرض، لا طبقات كما هو الحال في جهنم أجارنا الله تعالى وجميع المؤمنين والمؤمنات منها.

نهم، فبخصوص أبواب الجنة والتعريف المتقدّم لها فقد جاء القول المنقول عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصفة لها: وان الله تعالى وضع الجنان على العرض.

نعم، وهذا التقسيم يعني امكانية ان يكون هناك تفاوت في الدرجات بين هذه الطرق الثمانية المختلفة، لما يتدرج ضمنها من المقامات المتفاوتة والمختلفة في المنازل كما هو معروف[٥٤].

ثم أن البعض يذهب إلى القول بأن من غير المستغرب والمستبعد أن يكون المراد بالسبعة والثمانية هو العدد التكثيري، وأن المراد بذلك أن يكون لكل منهما أبواب كثيرة ومتعددة تتناسب وأعمال العباد، وطبيعتها، فهم يدخلون وفق ذلك التصنيف مما يناسبهم من الأبواب، أو مما يشير إلى مجاميعهم المتخصصة حسب أعمالهم التي عرفوا بها.

بيد أن الأمر البديهي ان هذا الامر يبقى مرتبط بالأعمال، وأن لهذه الأعمال جماعات تلتقي ضمن هذا القاسم بينها، وهو الذي يجمعها، وبالتالي يوافق بينها في الجزاء يوم الحساب.

وعموماً فلنتأمل في جملة من الروايات المتعرضة لهذا الأمر:

١ - فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عند تعرضه للحديث عن الجنة يذكر جملة من أبوابها تخصصت بخصائص معينة، فهنا باب الرحمة، وباب الصبر، وباب الشكر، وباب البلاء...[٥٥]

٢ – بل وتضيف بعض الروايات أيضاً أبواباً أخرى كباب المعروف وباب المجاهدين[٥٦].

٣ – ثم لنقرأ ما نُق عن أمير المؤمنين علي عليه السلام من قوله: إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة ابواب تدخل منها شيعتنا ومحبونا... وباب يدخل منه سائر المسلمون ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مثقال ذرة من بغضنا أهل البيت[٥٧].

٤ – وما نُقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: إن للجنة باباً يُدعى الريّان، لا دخله إلا الصائمون[٥٨].

٥ – ويُروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: إن للنار سبعة أبواب: باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفار ممن لم يؤمن بالله طرفة عين وباب تدخل منه بنو أُمية، وهو لهم خاصة... وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية... وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وأنه لأعظم الأبواب وأشدها حراً[٥٩].

القسم الرابع

شواهد وشواخص وعلامات متصلة بالمعاد ومتفرّعة عنه

مدخل

ليس بخاف على القارئ الكريم بان المعاد والحياة بعد الموت هي المرحلة القرية والملاصقة لمسألة الافضاء والدخول إلى العالم الآخر المنقسم بين الجنة والنار، وبين الشقاء والنعيم.

ولا مناص من القول بأن الانسان ذلك المخلوق العاقل قد أدرك بأن الأمور العظيمة لا يمكن أن تقع دون مقدمات، ودون اشارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وأوان حدوثها.

والمعاد، وهو يوم القيامة من أهم الأحداث التي تقع في هذا العالم، لانه خاتمة مطاف عمر طويل امتد لدهور ودهور، ولعوالم وأُمم متلاحقة ومتعاقبة، لا عد لها ولا حصر، منذ آدم عليه السلام وحتى آخر البشرية.

ووقوع هذا الأمر يستلزم بلا شك اشارات وعلامات معينة تشير إلى أوان وقوع، وتنبئ إلى حين وقوعه، ومن هنا فاننا سنحاول في مطاوي صفحات كتابنا اللاحقة التعرّض - بإذن الله تعالى - إلى جملة من تلك الأمور، وبشيء من الاختصار والتعجيل.

علامات يوم القيامة

مـا هـي العلامات السـابقة والمنـذرة بوقـوع القيامة وابتداء الحسـاب والمسـاءلة؟ ما هـي صفاتها وأشكالها؟

نعم، هذه هي الاسئلة غيرها ما يتوارد الي الذهن عند الحديث عن وجود علامات وأشراط لذلك اليوم الموعود.

وعمومـاً فاننا سـنحاول أن نسـتعرض في الصفحـات التالية أهم تلك العلامات والاشـارات من خلال تقسيمها إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: ما يتصل بالعلامات المنبئة بنهاية العالم.

القسم الثاني: ما يتصل بالحوادث الواقعة بعد فناء العالم وبعث البشرية للمعاد.

القسم الثالث: ما يتصل بالحوادث المشيرة إلى شروع الحساب.

ما يتصل بالعلامات المنبئة بنهاية العالم

ان مـا يتصل به هذا القسـم من التأريخ هو الحد القريب والملاصق ليـوم القيامة، وهو ما يُعرف في عالمنا بأشراط السـاعة، وهو ما يشـير اليه مثلاً قوله تعالى في سورة محمدﷺ: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾[1].

وحول هذه الآية وما جاء فيها من الاشـارة إلى الاشراط فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بهذه الاشراط هي بعثة النبي محمدﷺ، ونزول القرآن ثم ان مسألة شق القمر في عهد رسول اللهﷺ هي من علامات القيامة وأشراطها أيضاً كما جاءت الاشـارة إلى ذلك في قوله تعالى في سـورة القمر: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[2].

كما ان هناك أيضاً علامة أُخرى لوقوع يوم القيامة، وهي علامات ظهور الدخان الكثيف الذي سيغشي الناس يومئذ.

قال تبارك وتعالى في سورة الدخان: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾[٣].

ولنتأمل في ما روي عن رسول الله ﷺ من الحديث عن هذه العلامات، حيث يقول: عشر قبل الساعة لابد منها: السفياني، والدجال، والدخان، والدابة، وخروج القائم[٤]، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر[٥].

ما يتصل بالحوادث بعد الفناء واللصيقة بيوم الحساب

من الحقائق التي يجب أن لا تغرب عن ذهب الانسان أن السموات والأرض وما بينهما لم تخلقا للبقاء والخلود قطعا، بل ما كان خلق كل ذلك إلا لغاية وزمن، وأن هذا الوقت آت لا ريب فيه.

قال تعالى في سورة الاحقاف: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾[٦].

ومثل ذلك نقرأه في سورة لقمان: ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى اجل مسمى﴾[٧] وشبيه منه قوله جل اسمه في سورة فاطر[٨] وسورة الزمر[٩].

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن كل ما نراه الآن من المظاهر الكونية من سماء ونجوم كواكب وغيرها آيل إلى الفناء، ومفضية إلى الدمار، وذلك في وقت محدد، وزمن معين، وهو يوم الحساب.

نعم ففي بداية يوم الحساب سينتهي كل شيء، ويتحول هذا النظام العجيب والغريب والدقيق، والبالغ في الروعة والجمال إلى خراب، والنور إلى ظلام، بل وسينشأ حينها نظام جديد غير ما هو عليه الآن، وما يعرفه البشر، نظام يضعه البارئ جل اسمه.

فهذه الجبال العظيمة ستتفتت، والبحار الشاسعة الأبعاد والبعيدة الأغوار ستنفجر، وستحيط الزلازل كل شيء وتدمره، بل وينطفئ نور الشمس، وضياء القمر، وبريق النجوم ولمعانها، ولا يبقى هناك مظهر من هذه المظاهر التي نعرفها.

ولنرى تفصيل ذلك في كتاب الله عز وجل، ومن خلال جملة من آياته المباركة الكريمة.

ففي سـورة الشـمس نقرأ قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت * وأذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت... وإذا البحار سجّرت﴾[١٠].

وفي سـورة الانفطار نقرأ أيضاً قوله جل اسـمه: ﴿إذا السـماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بُعثرت﴾[١١].

بـل ونقرأ قوله تعالى أيضا في سـورة المزمـل: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانـت الجبال كثيباً مهيلاً﴾[١٢].

وفي سورة الطور قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً * وتسير الجبال سيراً﴾[١٣].

ويقول جل اسمه في سورة الحاقة: ﴿فإذا نُفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة﴾[١٤].

ويقول تبارك شأنه في سورة القارعة: ﴿القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾[١٥].

ويقـول سـبحانه وتعـالى في سـورة المعـارج: ﴿يـوم تكـون السـماء كالمهـل * وتكـون الجبـال كالعهن﴾[١٦].

ويقول عز من قائل أيضا في سـورة القيامة: ﴿فإذا برق البصر * وخسـف القمر * وجُمع الشمس والقمر﴾[١٧].

أقول: ان التأمل البسـيط في مجمل هذه الآيات المباركة وغيرها مما يتعرض لهذا الأمر يبيّن بأن هذه القيامة ليت قطعاً اسـتمراراً لدنيانا هذه، بل هي عالم مسـتقل عنها، متفرد بخصوصيات معينة لا صلة لها بهذه الدنيا، تتشكل وتتكون بأشكال جديدة يقيمها الله تبارك وتعالى، وهي المفضية للولوج إلى عالم آخر، وعالم جديد وعد به الخلق منذ بداية خلقهم.

ما يتصل بالحوادث المشيرة إلى شروع الحساب

تشـير إلـى عمـلية الشـروع بيـوم القيـامـة، والحشـر الأعظـم جمـلة مـن العـلامـات والشـواهد والأشــراط المختلفـة المختصة بـه، والـتي سـنحاول فـي مطـاوي صفحـات كتـابنـا الـلاحـقة التعــرف إلى جمـلـة منـها مـن خـلال اسـتعراض بعـض مــن الآيـات المباركــة الكـريمة المتعلقـة بهـا.

فمن ذلك قوله تعالى في سـورة ابراهيم: ﴿يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسـماوات وبروزا لله الواحد القهّار﴾[١٨].

وكـذا قولـه جـل اسـمه في سـورة الزلزلـة: ﴿إذا زلزلـت الأرض زلزالهـا * وأخرجـت الأرض أثقالها﴾[١٩].

وقولـه تبـارك وتعالى في سـورة الكهف: ﴿يوم تُسـيّر الجبال وترى الأرض بـارزة وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً﴾[٢٠].

فمن هذه الآيات المباركة وغيرها يتبين بوضوح أن الانسـان وبعد حصول هذه الحوادث والوقائع المختلفة سوف يحشر للحساب مباشرة ودون أن فاصلة.

النفخ في الصور

من الأمور والشـواهد الكبرى المرتبطة بالمعاد هي مسـألة النفخ في الصور، والتي تكاثرت الآيات والروايات والأخبار المتعددة المشيرة اليها، والمبينة لكيفية وقوعها، وما يتصل بها.

والصــور كـما تبـين ذلـك جملـة من الروايـات والأخـبـار قرنـاً لـه طرفـان، يقـال أن أحدهما في المشرق، والآخـر في المغرب، سـينفخ فيـه عند حلـول الوقت واحد مـن الملائكـة المقرّبين، وهو اسرافيـل.

وكـما ذكرنـا آنفاً فـان هناك جملة واسـعة مـن الآيات المباركـة الكريمة اشـارت إلى ذلـك الأمور، سنحاول بدء الاشارة إلى البعض منها:

فـمـن ذلــك قـولـه تعــالى في ســورة الأنعـام: ﴿قولـه الحـق ولـه الملـك يـوم يُنفـخ فـي الصـور﴾[21].

وقوله جل اسمه في سورة الكهف: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاءً وكان وعد ربي حقاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونُفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾[22].

وكـذا قولـه تبارك شـأنه في سـورة الزمر: ﴿ونُفخ فـي الصور فصعـق من في السـموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[23].

وقولـه سـبحانه في سـورة المؤمنـين: ﴿فـإذا نُفـخ فـي الصـور فـلا أنسـاب بينهـم يومئـذ ولا يتساءلون﴾[24].

وقوله عز من قائل أيضاً في سـورة النمل: ﴿ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السـموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين﴾[25].

وأيضاً قوله تعالى في يس: ﴿ونُفخ في الصور فاذا هو من الأجداث الى ربهم ينسلون﴾[26].

وقوله جل شأنه في سورة ق: ﴿ونُفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾(٢٧).

وقوله تبارك وتعالى أيضا في سورة النبأ: ﴿يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾(٢٨).

وغير ذلك مما يشير إلى هذه النفخة وما يرتبط بها.

أقول: ان الحديث والاشارة إلى هذا الأمر يستدعي بالقارئ التوقف عند بعض التساؤلات والمحطات الاستفهامية المختلفة، هي:

١ - ما هي تلك النفخة في الصور؟

٢ - من هو ذلك النافخ في الصور، وما الصوت المنبعث منه المؤدي إلى موت البشرية ثم بعثها مرة اخرى للحساب؟

٣ - كم هي عدد النفخات في الصور، وما هي أوقاتها؟

١ - ما هو الصور وما هي النفخة فيه؟

اشتهر عند الناس أن الصور هو ما يمثل البوق الذي يُنفخ فيه فيصدر صوتاً معيناً يعتمده المحاربون، أو رجال العسكر، والجيوش من أجل التوقف أو الحركة، كما تعتمده القوافل أو الجمعيات المختلفة بمثل هذا هذا الأمر، وهو على الشكل الذي ذكرناه آنفاً في مطلع حديثنا عنه

والتأمل في الآيات القرآنية المباركة التي أشرنا إلى البعض منها آنفاً يظهر أن هذه النفخة من الصور ستكون الصوت الذي سيؤدي في المرة الأولى - أي النفخة الاولي - إلى موت الخلق جميعاً إلا من يشاء الله تعالى، حين تشكل الثانية انبعاث جميع الخلق - منذ البداية وإلى آخر فد فيها - من القبور للوقوف للحساب والمساءلة.

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ونُفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾(٢٩).

وفي وصف هذا الصور يُروى عن الإمام السجاد عليه السلام قوله: إن الصور قرن عظيم له رأس واحد وطرفان، وبين الطرف الأسفل الذي يلي الأرض إلى الطرف الأعلى الذي يلي السماء مثل ما بين تخوم الأرضين السابعة إلى فوق السماء السابعة، فيه اثقاب بعدد أرواح الخلائق، وسمع فمه ما بين السماء والأرض(٣٠).

فهذه النفخة الأولى التي ستكون السبب المؤدي إلى موت الخلائق، حين تكون الثانية هي المؤدية إلى بعثهم من جديد هي المنتظرة والقادمة في نهاية العالم.

٢ - من هو ذلك النافخ في الصور، وما الصوت المنبعث منه المؤدي إلى موت البشرية ثم بعثها مرة أُخرى للحساب؟

تحدد الروايات المنقولة عن أهل البيت العصمة عليهم السلام - وكما ذكرنا ذلك آنفاً - أن النافخ في الصور هو واحد من الملائكة المقربين، والمدعو باسرافيل.

وهذا الملك الكريم يتحدث عنه ويصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله ملك كريم آخر هو جبرائيل، حيث يقول: إن هذا حاجب الرب، وأقرب خلق الله تعالى منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثم ألقى الينا نسعى به في السموات والأرض، أنه لأدنى خلق الرحمن منه... واني لأقرب الخلق منه، وبيني وبينه مسيرة ألف عام[٣١].

نعم، فأي ملك عظيم هذا الذي تناط به هذه المسؤولية الكبرى، وهذا العمل الجسيم، لينفخ في صور عظيم يصدر صوتاً مخيفاً موحشاً يؤدي إلى موت الخلق في السموات والأرض، ثم ينفخ فيه تارة اخرى لترى جميع الخلق أحياء، ينسلون من كل حدب وصوب، من القبور ومن غيرها.

يصف أمير المؤمنين علي عليه السلام النفخة الأولى بقوله: ويُنفخ في الصور فتزهق كل مبهجة، وتبكم كل لهجة، وتذل الشم الشوامخ، والصم الرواسخ، فيصير صلدها سراباً رقرقاً، ومهدها قاعاً سملقاً[٣٢].

أما ما يخطر في مخيلة المرء وهو يتأمل في ذلك هو ما هو ذلك الصوت المؤدي إلى وقوع هذا الموت، وما كيفيته؟

ونحن هنا لا نستطيع أن نجزم بحقيقة الحال، لأن تقدير ذلك وعلمه عند الله تعالى، وهو القادر على كل شيء، بيد أن لماهية الصوت وتأثيره على الخلق، وما يتصل بذلك تفسيرات معينة، تندرج تحت ما يُعرف بالتردد الصوتي والذبذبات الصوتية، لأن أصناف المخلوقات تختلف مثلاً في بعض جهاتها السمعية، ومقدار مما يمكنها أن تسمعه من حيث الحد الأدنى والأعلى لتلك الترددات والأمواج الصوتية الخاصة بها.

فإذن الإنسان مثلاً تكون في حالة استعداد لتلقي الترددات أو الأمواج الصوتية التي تنحصر شدتها ما بين عشرين درجة في الثانية، وعشرين ألف فيها، والزيادة والنقصان تخرج عن مجال التحسس السمعي لها.

هذا خلاف الخفاش مثلاً والذي تكون قدرته على السمع أشد وأعمق، لأنها تصل إلى ١٤٥٠٠٠ درجة من التردد.

ومن هنا فإن الأصوات الشديدة والعالية تشكل عند تجاوزها للحد السمعي للانسان - مثلاً - حالة غير محتملة، كالانفجارات الرهيبة، فتصيبه بالذهول، بل وقد تؤدي إلى اصابته بصدمة شديدة

تصيبه بالذهول وفقدان الوعي، بل وإلى موته اذا ازدادت حدتها، وتصاعدت وتيرتها.

ان بعض الأصوات العالية تودي إلى كسر الزجاج، وإلى تهشم الجدران وتصدعها، وحيث تتصاعد هذه النتائج مع تصاعد الوتائر كما هو واضح ومعروف لدى القرآن الكريم.

ومن هنا فلا غرابة في أن يكون الصوت المنبعث من الصور الذي سينفخ في اسرافيل هو السبب في موت البشرية، لاسيما وهو هذا الحجم، وهذه القدرة العظيمة.

بيـد أن الأمـر برمته يعود إلى قـدرة الله تعالى وحكمته، بل وكيفية تقديـره لموت الخلائق وبعثها من جديد.

٣ - كم هي عدد النفخات في الصور، وما هي أوقاتها؟

التأمـل في جملـة من الآيـات المباركة الكريمة المتعرضة لهـذا الأمر يظهر ان هنـاك أربعة نخفات في الصور ستكون في وقتها، وتشير إلى خصوصيات معينة، والتي يمكننا الاشارة اليها بالشكل التالي:

١ - نفخة الفزع.

٢ - نفخة الصعق.

٣ - نفخة الحياة.

٤ - نفخة الحشر.

ولنحاول سوية التعرف إلى ما يتصل بهذه النفخات، وما يتعلق بها من وقائع وأحداث:

١ - نفخة الفزع:

وهـذه النفخة كما تشـير إليهـا آيات القرآن الكريـم تبعث - حيث حصولهـا - الرعب والخوف في الناس.

قال تعالى في سورة النمل: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾[٣٣].

٢ - نفخة الصعق:

وهي النفخة التي ستؤدي حين حدوثها إلى موت الخلائق، لانها تصعقهم، ولا تبقي لهم باقية.

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ونُفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض﴾[٣٤].

٣ - نفخة الحياة:

وهي النفخة التي سـتعيد الحياة إلى الجميع بعـد أن طواها الموت، ومضى على الكثيرين منهم دهور ودهور لا يعلم عددها إلا الله تبارك وتعالى، نعم، انها العودة الثانية إلى الحياة بعد الموت.

قال سبحانه وتعالى في سورة الزمر: ﴿ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[٣٥].

وقال جل اسمه أيضاً في سورة الصافات: ﴿فانها هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون﴾[٣٦].

وقوله جل اسمه أيضاً في سورة النبأ: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾[٣٧].

وقال هو أصدق القائلين: ﴿ونُفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾[٣٨].

أقول: ان الخلاصة المتجمعة من خلال كل هذا تفضي إلى القول بأن هناك - كما تذهب إلى ذلك الحقائق الواضحة - نفختين هما:

١ - نفخة الموت التي يتقدمها الخوف والرهبة.

٢ - نفخة الحياة المؤدية إلى بعث جميع الموتى وتجمعهم للحشر والمساءلة.

ثم ان النفختين التاليتين اللتين ذكرناهما ملحقتان بهاتين الاثنين كما هو واضح لما تأمل وتدبر،

وأما ما يتصل بوقت حدوث النفختين - الأولى والثانية - فإن جملة الآيات والروايات المختلفة المتعرضة للحديث عنهما، تشير إلى أن النفخة الأولى ستكون في نهاية العالم وبداية القيامة، وأما الثانية فتكون أبان الشروع في الحساب يوم القيامة.

الأعراف

من المسائل والحقائق الكبرى التي تتصل بعملية الحساب، وما يحلقها من دخول الجنة والنار، هي مسألة الأعراف، ورجال الأعراف، هو أمر لا يخفى على كل مسلم، لأنه بيّن واضح.

نعم، فإنه يكفي هذا الأمر أن تكون هناك سورة كاملة في القرآن الكريم تُعرف باسم الأعراف، تتناول هذا الموضوع، وتعرف به من خلال جملة من الآيات المباركة الكريمة.

قال تعالى في تلك السورة المباركة: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً... وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين * ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم سيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾[٣٩].

ومن هنا فلنا أن نتساءل عن هذه المنزلة ومن هم أهلها، بل وما يتصل بكل ذلك من التفرعات والتداخلات.

يقول الشيخ الصدوق (رحمه الله) تعالى في الاعتقادات: اعتقادنا في الأعراف أنه سور بين الجنة والنار، عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم، والرجال هم النبي وأوصياؤه، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وعند الأعراف المرجون لأمر الله تعالى، إما يعذبهم وأما يتوب عليهم. وأما الشيخ المفيد رحمه الله تعالى فيقول تعليقاً على ذلك: قد قيل أن الأعراف جبل بين الجنة والنار، وقيل انه سور بين الجنة والنار.

وجملة الأمر في ذلك أنه مكان ليس من الجنة ولا من النار، وقد جاء الخبر بما ذكره، وأنه إذا كان

يـوم القيامة كان به رسـول اللهﷺ، وأمير المؤمنين والأئمة من ذريتـهﷺ، وهـم الذي عني تعالى بقوله: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ الآية.

وذلـك ان الله تعالى يعلمهم أصحاب الجنة وأصحاب النار بسـيماء يجعلها عليهم وهي العلامات، وقد بين ذلك في قوله تعالى: ﴿يعرفون كلا بسـيماهم﴾، ﴿يعرف المجرمون بسـيماهم﴾ وقال تعالى: ﴿أن في ذلك لايات للمتوسمين * وانها لبسيل مقيم﴾(٤٠) (٤١).

ثـم لنحـاول أن نتأمل في جملة من الروايات والأخبار المتعرضة لهذا الأمر، والمختصة به وبحال من يرتبط به.

فعـن الطـبرسي رحمه الله تعالى في مجمع البيان – ان ابن عباس (رحمه الله) قال: ان لعليﷺ اسـماء لا عرفها الناس، قوله تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ فهو المؤذن – إلى أن قال: ﴿وبينهما حجاب﴾ أي بين الفريقين – أهل الجنة وأهل النار – سـتراً، وهو الأعراف، والأعراف سـور بين الجنة والنار عن مجاهد والسدي.

وفي التنزيل: ﴿فضرب بينهم السور﴾(٤٢) وقيل: الاعراف شِرف ذلك السور.

وقيل: الأعراف الصراط.

واختلف في المراد من الرجال في قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾.

فقيل: انهم قوم اسـتوت حسـناتهم وسيئاتهم فحالت حسـناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهـم وبـين الجنة. فجُعلوا هناك حتى يقضي الله تعالى فيهم ما شـاء ثم يُدخلهـم الجنة، عن ابن عباس وابن مسعود.

وقيـل: الأعـراف: موضع عال عـلى الصراط عليـه حمزة والعبـاس وعلي وجعفر يعرفـون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه، عن الضحاك، عن ابن حمزة، رواه الثعلبي في تفسيره.

وقيل: انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار...

وقيل: أنهم فضلاء المؤمنين، عن الحسن ومجاهد.

وقيل: انهم الشهداء وهم عدول الآخرة، عن الجبائي.

وقـال الباقـرﷺ: هم آل محمدﷺ، لا يدخل الجنة إلا من عرفهـم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.

وعـن أبي عبـدالله الصادقﷺ قولـه: الأعراف كثبان بـين الجنة والنار، يُوقف عليهـا كل نبي وكل خليفة مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه: انظروا إلى اخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة،

فيُسلم المذنبون عليهم وذلك قوله تعالى: ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ ثم أخبر سبحانه انهـم لم يدخلوها وهم يطمعـون، يعني هؤلاء المذنبين، لم يدخلوا الجنة وهـم يطمعون أن يدخلهم الله تعالى أيّاها بشفاعة النبي والإمام...[٤٣]

وعنهعليه السلام في رواية اخرى: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فان أخلهم النار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته[٤٤].

وقفة لابد منها

التأمـل فيـما أوردنا بعضه من الآيات الكريمـة، والروايات والأخبار المتفرّقة يـبرز إلى الذهن جملة مـن المؤشرات والملاحظـات المختلفة حول من هم أصحاب الأعراف الذيـن تكرر ذكرهـم والحديث عنهم.

نعـم، فمما يتصل بهذا الأمر فقد اختلفت الأقوال وتشـعبت، حتى انا نـرى بأن العلامة الطبطبائي رحمه الله تعالى في الميزان(٤٥) يورد ١٢ قولاً في ذلك، منها:

١ - انهم أشراف الخلق الممتازون بكرامة الله تعالى.

٢ - أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم...

٣ - أهم أهل الفترة.

٤ - أنهم مؤمنوا الجن.

٥ - أنهم هولاء الكفار الذين لم يبلغوا في الدنيا أوان البلوغ.

٦ - أنهم أولاد الزنا.

٧ - أنهم ملائكة واقفون عليهم يعرفون كلاً بسيماهـم...

٨ - أنهم أهل العجب بأنفسهم.

٩ - أهم الأنبياء عليهم السلام، يقامون عليها تمييزاً لهم عن سائر الناس، ولأنهم شهداء عليهم.

١٠ - أنهم قوم صالحون فقهاء علماء.

١١ - أهـم العباس وحمزة وعلي وجعفر يجلسـون على موضع من الـصراط يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسوادها...

١٢ - أنهم عدول الأُمم الشهداء على الناس يقومون عليها لشهادة على أُممهم.

ثم انه رحمه الله تعالى برحمته الواسعة يضيف بعد ذلك قولان ليصبح العدد ١٤ قولا في ذلك:

١ - انهم المستضعفون ممن لم تتم عليهم الحجة ولم يتعلق بهم التكليف، كالضعفاء من الرجال والنساء والأطفال غير البالغين...

٢ - أنهم الذي خرجوا إلى الجهاد من غير آذن ابائهم فاستشهدوا فيها، فهم من أهل النار لمعصيتهم، ومن أهل الجنة لشهادتهم، وعليه رواية.

ثم يخلص رحمة الله تعالى إلى القول بان: اصول الأقوال في رجال الأعراف ثلاثة:

١ - انهم رجال من أهل المنزلة والكرامة على اختلاف بينهم في انهم من هم: فقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم الشهداء على الأعمال، وقيل: العلماء الفقهاء، وقيل غير ذلك.

٢ - انهم الذين لا رجحان في أعمالهم للحسنة على السيئة، وبالعكس على اختلاف منهم في تشخيص المصداقية.

٣ - انهم من الملائكة.

وقال أخيراً: وقد عرفت ان الذي يعطيه سياق الآيات هو الأول من الأقوال، حتى أن بعضهم مع تمايله إلى القول الثاني لم يجد بداً من بعض الاعتراف بعدم ملاءة سياق الآيات ذلك، كالآلوسي في روح المعاني(٤٦).

ثم نراه رحمه الله تعالى ينقل في بحثه الروائي عن الأئمة الأطهار عليهم السلام قولهم بانهم هم الأعراف.

فهو ينقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: نحن الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه...

أهل الأعراف والشفاعة

تقدم منّا الحديث آنفاً عن أن أهل المحشر سينقسمون يوم القيامة إلى ثلاثة أقسام بعد الحساب:

القسم الأول: وهم المؤمنون الصالحون المخلصون الذي قادتهم أعمالهم الصالحة إلى دخول الجنة.

القسم الثاني: الكافرون والعصاة ممن قادتهم معصيتهم وذنوبهم إلى دخول النار والعقاب فيها.

القسم الثالث: من جميع بين الصالح والطالح من المؤمنين، فهم يستحقون العقاب على ما أذنبوا، ويستحقون الثواب أيضا على ما قدموا.

ان هذا القسم من الناس سيحال أمره على اصحاب الأعراف، ذوي الشفاعة، من أولياء الصالحين كالأنبياء - وعلى رأسهم رسول الله ﷺ - والأوصياء - وسادتهم أهل بيت النبوة المعصومين عليهم السلام - كما تذكر ذلك جملة واسعة من الروايات - لينظروا في مدى استحقاقهم لشفاعتهم تلك.

نعم، ان شمول الشفاعة لاولئك تستلزم استحقاقهم لها، وهم من بين المؤمنين المذنبين، ولا تنال الكافرين، ولا المرتدين، ولا المشركين، ولا المرابين، ولا العاصين لله تعالى ولرسوله الأكرم ﷺ، ولا المكذبين والمستكبرين، ولا المنافقين والمنافقات، ولا قاتلي المؤمنين عمداً، ولا الظالمين، ولا المجرمين، ولا من خفت موازينهم، لأنه جميع هؤلاء قد توعدهم الله تعالى بالعذاب في جهنم كما في جملة متفرقة من آيات القرآن الكريم.

وعموماً فان هناك جملة من الأخبار والروايات المشيرة إلى اقدام هؤلاء الأولياء الصالحين وعلى رأسهم بيت النبوة الأطهار - رسول الله ﷺ وأهل بيته الأئمة عليهم السلام على الشفاعة لمن يستحق تلك الشفاعة يوم القيامة، لما لهم عليهم السلام من المكانة العالية، والمنزلة العظيمة التي تؤهلهم لهذا الأمر العظيم.

فهذا بريد العجلي يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن الأعراف، فيجيبه عليه السلام بقوله: صراط بين الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى[٤٧].

وعن رسول الله ﷺ قوله: لكل نبي دعوة قد دعا بها، وقد سأل سولاً، وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمتي يوم القيامة[٤٨].

وعنه ﷺ قوله أيضا: اني أشفع يوم القيامة فأُشفع ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فُيشفعون....[٤٩]

وعن الباقر والصادق عليهما السلام: والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أن لنا كرّة فنكون من المؤمنين﴾[٥٠][٥١].

الشفاعة بين القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

لا مناص من القول بان الشفاعة من الاُمور المهمة والحساسة في يوم القيامة، وحيث تُعد من الألطاف الالهية، والمنن السماوية التي يسبغها الله تعالى على أفاضل عباده[٥٢] ليكرمهم بمنزلة الشفيع من جانب، وعلى غيرهم ممن ستنالهم هذه الشفاعة لينجوا بها، وليتخطوا العذاب بواسطتها.

والشفاعة في اللغة من شفع شفعاً، وفي الشيء صيره شفعاً أي زوجاً.

وتشفع لي وإليّ بفلان أو في فلان أي طلب شفاعتي.

وأما الشفاعة في المفهوم الاصطلاحي في السؤال في التجاوز عن الذنوب[٥٣].

والشفاعة بمفهومها هذا وردت في موارد كثيرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة، وهي بلا شك من المسلمات البديهية التي أكدها العلماء والمفكرون الاسلاميون في دراستهم وبحوثهم، ولا غرض لنا بمن يكابر ويعاند.

وعموماً فأن الشفاعة لها مصاديق في الكتاب العزيز، وهي بين النفي والاثبات، وفي أكثر من عشرين موضعاً منه، تناثرت في جملة متفرقة من آياته الكريمة، كما هو الحال أيضا في الأحاديث التي كنا للشفاعة فيها ذكراً واسعاً ومسهباً.

وسنحاول سوية وفي صفحات كتابنا اللاحقة التعرض باختصار لها بإذن الله تعالى.

الشفاعة في القرآن الكريم

ذكرنا آنفاً بان الشفاعة قد وردت بشكل مباشر في القرآن الكريم لمرات عديدة ومتكررة،و هي كما ذكرنا في ذلك بين النفي والأثبات، وسنحاول هنا التعرض إلى البعض من ذلك.

١ - ففي بعض آيات القرآن الكريم نجد هناك نفيا كلياً للشفاعة، بيد أن هذا النفي عند التأمل

فيـه نجـده يختص بجماعة أو فئة معينة، حددهم الله تعـالى في كتابه العزيز، وتوعدهم بالحرمان من هذا الفضل العظيم.

ومن ذلك قوله تعالي في سورة المدثر: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[٥٤].

٢ - وفي بعـض تلـك الآيات نجد ان هنالك تحديد للشـفاعة بالله تعالى دون غيره، كما في قوله جل اسمه في سورة السجدة: ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾[٥٥].

٣ - بـل وفي بعض آي القرآن الكريم يظهر ان الشـفاعة يأذن بهـا الله تبارك وتعالى للبعض، وبإذنه جل اسمه، كما في قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[٥٦].

٤ - وفي البعـض الآخـر هنـاك شرائط للحصول على هذه الشـفاعة، وادراكها، حـين لا نجد فيها ذكـر لتلك الشرائط، كما في قوله تعالى: ﴿ولا يشـفعون إلا لمن ارتضى﴾[٥٧]، فهنا الاطلاق العمومي بالرضا الالهي.

٥ - حـين نجـد في بعض الايات الأُخر تحديد لهذه الشروط، كما في قوله تعالى في سـورة الزخرف: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾[٥٨].

أقـول: أن جملـة ما ذكرنا من هذه الآيـات الكريمة، والتي عمدنا إلى تصنيـف البعض منها تصنيفاً عامـاً تسـتدعي بالمرء التوقـف والتأمل والتدبـر في المعطيات المترتبـة على كل ذلك، ووفق الاسـتقراء العمومي لمجمل الأبعاد الخاصة بهذه الشفاعة.

فما قرأناه مثلاً - وكما سـبق لنا القول - من نفي الشـفاعة ليس هو مطلق بنفي الموضوع قطعاً، لانه تخصيـص بجماعـة معينـة حرمتها معصيتها مـن ذلك الأمر، لأنه تعـالى عندما ينفي هذه الشـفاعة عن جماعة يؤكد استحقاق جماعة اخرى لها.

ففي الآية الأولى المتعلقة بنفي الشفاعة نجد عند التأمل في الآيات المتصلة بها أن العقاب الذي حل على هذه الجماعة من الحرمان بالشـفاعة هو حاصل تحصيل لجملة من الأعمال الفاسـدة المفضية إلى هذا الجزاء.

يقول سـبحانه وتعالى في ذلك: ﴿كل نفس بما كسـبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتسـاءلون * عـن المجرمين * ما سـلككم في سـقر * قالوا لـم نـك من المصليـن * ولـم نك نطعم المسـكين وكنـا نخوض مع الخائضين * وكنـا نكذب بيوم الدين * حتى أتانـا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[٥٩].

بل ولنقرأ قوله جل اسـمه في سـورة الانعام: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الدنيا وذكّر به أنت تُبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي لا شفيع﴾[٦٠].

وقوله جل اسمه في سورة البقرة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون**﴾[٦١].

هو النفي عن جماعات لأعمال اقترفوها، فحرموا ما هو موجود، وما يسأله به غيرهم للنجاة من العذاب.

قال تعالى في سورة طه: ﴿**يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً**﴾[٦٢].

بل وقوله سبحانه في سورة الزخرف: ﴿**ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾[٦٣].

وقوله عز من قائل في سورة مريم: ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً**﴾[٦٤].

بل وغيرهم من الآيات المشيرة إلى ذلك بوضوح وجلاء، حين نجد أن جملة ما تعرض وأشاروا إلى نفي هذه الشفاعة قد حصرها بجماعات معينة، منها: الكافرون[٦٥]، والمرتدون[٦٦]، والمشركون[٦٧]، والمرابون[٦٨]، والعاصون لله تعالى ولرسوله الأكرمﷺ[٦٩]، والمكذبون والمستكبرون[٧٠]، والمنافقون والمنافقات[٧١]، وقاتلو المؤمنين عمداً[٧٢]، والظالمون[٧٣]، والمجرمون[٧٤]، ومن خفت موازينهم [٧٥]، وهو ما سبق أن أشرنا اليه آنفاً.

الشفاعة في الأحاديث الشريفة

تعددت بشكل واسع وكبير الروايات والأخبار المتعرضة والمتحدثة عن مسألة الشفاعة وما يرتبط بها، وحيث لا يسعنا هنا – ولغرض الاستدلال، وفي هذه الصفحات المحددة – استدلال إلا البعض القليل منها تجنباً للاسهاب، واعراضاً عن الاطالة.

فمن ذلك ما روي عن رسول اللهﷺ من قوله: الشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد[٧٦].

وعنه أيضاًﷺ أيضاً: من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي[٧٧].

وقالﷺ: إن أقربكم مني غداً، وأوجبكم عليّ شفاعة أصدقكم لساناً، وأدّاكم لأمانتكم، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس[٧٨].

وقالﷺ أيضاً: لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته، ولا يرد عليّ الحوض لا والله[٧٩].

وعنهﷺ قوله: الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل بيت نبيكم[٨٠].

وعن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنب من شيعتنا، فأما المحسنون فقد نجاهم الله تعالى[٨١].

وعـن رسـول الله ﷺ قولـه: ثلاثـة يشـفعون إلى الله عز وجـل فيشـفعون: الأنبياء، ثـم العلماء، ثم الشهداء[٨٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قوله: والله لنشفعن، والله فنشفعه، في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾[٨٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف تشـفع للناس بحسن تأديبك لهم[٨٤].

وعن رسول الله ﷺ ك الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة[٨٥].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: شافع الخلق العمل بالحق ولزوم الصدق[٨٦].

وعنه عليه السلام: من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع[٨٧].

وقال عليه السلام أيضا: لا شفيع أنجح من التوبة[٨٨].

الصراط

لا يخفى على القارئ الكريم أن الصراط والمرور عليه من الحقائق والمسلمات البديهية والاعتقادية، بل وتُعد مسألة الإيمان بهمن ضروريات الدين التي يتفق عليها جميع المسلمين.

وقد تواترت الروايات عند العامة والخاصة حول كون الصراط جسر ممدود فوق جهنم، تقع الجنة في طرفه الآخر، وأنه - أي الصراط - أحد من السيف وأدق من الشعرة، وعليه عقبات ومصاعب كثيرة، من اجتازه فقد نجا، ومن سقط تعثر عليه وسقط منه فقد هلك وهوى.

قال الشيخ الصدوق (رحمه الله) في العقائد: اعتقاده في الصراط أنه حق، وأنه جسر جهنم، وان عليه ممر جميع الخلائق، قال الله عز وجل: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾[٨٩].

والورود هنا في هذه الآية المباركة هو المرور على الصراط كما نُقل ذلك عما روي عن رسول الله ﷺ[٩٠].

ومن هنا فان هذه الاية الكريمة تشير إلى أن جميع الخلائق سيردون على جهنم يوم القيامة، ويمرون عبر الصراط الممدود عليها، فمن كان ممن رضي الله تعالى عنه كان عبوره هيناً يسراً، فهو كحال ابراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً، خلاف العصاة والملحدين والكافرين.

ثم ان العبور هذا تكتنفه عقبات ومصاعب ومشاق لابد للإنسان أن يجتازها للنجاة والعبور صوب الجنة وصوب النعيم.

قال تعالى في سورة الفجر: ﴿إن ربك بالمرصاد﴾[٩١].

وقد نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة[٩٢].

بـل ومثل ذلك ما نُقل عن الرسـول الأكـرمﷺ عند وصفه للصراط: وهو قـول الله تبارك وتعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾(٩٣) (٩٤).

وفي سورة البلد يقول سبحانه: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾(٩٥).

وإلى تفسـير هذه الاية يشـير ما نُقل عن رسول اللهﷺ من قوله: أن فوق الصراط عقبة كؤوداً... أنا أول من يقطع تلك العقبة، وثاني من يقطع تلك العقبة علي بن أبي طالب(٩٦).

اشارات ومحطات

لابـد لنـا – وسـعياً لإدراك الكثير عن حقيقـة هذا الصراط، ومـا يتصل به – مـن أن نعرج على ما نُقـل عـن أهل النبوة الأطهار من توضيحات وتفصيلات متصلة بـه، وحيث تكلفت بذلك الروايات المنقولة عنهمعليهم السلام، والتي سنحاول التعرض إلى البعض منها.

فمـن ذلـك مـا رواه الفضـل بن عمر عـن الإمـام الصـادقعليه السلام عندما سـأله عن الـصراط ما هو، فأجابـهعليه السلام بقوله: الصراط هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، هما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة.

فأمـا الصراط الـذي في في الدنيا فهو الإمام المفـروض الطاعة، من عرفه في الدنيـا، واقتدى بهداه، مـرّ عـلى الصراط الذي هو جسر جهنـم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّـت قدمه عن الصراط في الاخرة، فتردى في نار جهنم(٩٧).

وعنهعليه السلام أيضاً: الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشَعرة ومن حد السـيف، فمنهـم مـن يمر مثل الـبرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفـرس، ومنهم من يمر حبـواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئا وتترك شيئاً(٩٨).

وأمـا رسـول اللهصلى الله عليه وآله فُـيروى عنـه أنـه خـاطـب علياًعليه السلام بقـولـه: يـا عـلي، إذا كـان يـوم القيامـة أقـعـد أنـا وأنـت وجبرئيل على الصـراط، فلم يجز أحـد إلا من كان معه كـتـاب فيه براءة بولايتـك(٩٩).

وعـن أبي ذر الغفـاري ان رسـول اللهصلى الله عليه وآله قال: حافتا الصراط يوم القيامـة: الرحم والأمانة، فإذا مر الوصـول للرحـم، المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانـة، القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل، وتكفأ به الصراط في النار(١٠٠).

وفي رواية تُنقل عن ابن عباس رضي الله عنه، إلا أن الظاهر انه رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأطهار عليهم السلام، فيها:

إن على جسر جهنم سبع مجالس، يُسأل العبد عنها أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز الي الثاني، فيُسأل عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيُسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع، فيُسأل عن الصوم، فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج، فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيُسأل عن سبله، لأن الانحراف هو سبيل الضياع، بل وسبيل السقوط في نار جهنم.

ميزان الأعمال

توطئة

تدرجنـا آنفـاً بذكر جملة ما يتصل بيوم الحسـاب، ومـا يرتبط بالمواقف المرتبطة بـه، حيث أفضى بنا الحـال إلى الموقف الحاسـم الممثـل لخلاصة عمل الإنسـان وأفعاله طيلـة حياته الدنيا، وهـو ما يُعرف بميزان الاعمال المتصل بالحسـاب، والذي يبقى مصير الانسـان وخاتمته معلقة بنتائج ما سـيكون عليه الأمر في نهاية المطاف، وهل سـترجح الأعمال الحسـنة أم السـيئة، وإلى أين سـتقود تلك النتيجة ذلك الإنسان العاجز، هل إلى الجنة أم إلى النار؟ ان كل ذلك منوط بميزان الاعمال، محل بحثنا الآن.

الميزان وحقيقته

مـا الذي يعنيـه الميزان للأعمال يوم القيامة؟ وما هي شرائطه وصفاتـه، بل وكيف يمكن أن ترجح فيه الأعمال الحسان؟

انهـا جملة متعددة من الاسـئلة التي تراود ذهن المرء وهو يدرك بـأن هناك موقف لا مناص منه يوم القيامة عند هذا المحك النهائي لكل ما سلف من أعماله وأفعاله.

ولنتوقف قليلاً عند بعض الايات المباركة الكريمة التي تتعرض لهذا الأمر ثم لنحاول أن نستوضح من بعد بعضاً مما يتصل به.

قال تعالى في سـورة الأعراف: ﴿**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون**﴾[١٠١].

وفي سورة الأنبياء يقول جل شأنه: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[١٠٢].

وأما في سورة القارعة فيقول عز من قائل: ﴿**فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمّه هاوية * وما أدراك ما هية * نار حامية**﴾[١٠٣].

نعم، ان هذه الآيات المباركة وغيرها هي ما يشير إلى المحك الذي تُقاس به أعمال العباد يوم القيامة، والذي يُمثل بالميزان، وهو وصف معنوي مجازي لا مادي كما يتوهم ذلك من جمد عند ظواهر الآيات والأخبار.

قال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى: الموازين هي التعديل بين الأعمال والجزاء عليها، ووضع كل جزاء موضعه، وإيصال كل ذي حق إلى حقه.

وليس الأمر في معنى على ما ذهب اليه أهل الحشو من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا، لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها، إذ الأعمال أعراض، والأعراض لا يصح وزنها، وإنما توصف بالثقل والخفة على وجه المجاز، والمراد بذلك أما ما ثقل منها هو ما كثر واستحق عليه عظيم الثواب، وما خف منها ما قل قدره ولم يستحق عليه جزيل الثواب.

والخبر الوارد أن أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريته عليهم السلام هم الموازين فالمراد أنهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها، والحاكمون فيها بالواجب والعدل، ويُقال فلان عندي في ميزان فلان، ويُراد به نظيره، ويُقال كلام فلان عندي أوزن من كلام فلان، والمراد به أن كلامه أعظم وأفضل قدراً...

أقول:بل وإن التأمل في جملة من الروايات يوضح البعض مما يتعلق بهذا الأمر ويبينه.

فقد روي مثلاً عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: الميزان العدل[١٠٤].

وروي عنه عليه السلام أيضاً حول الموازين قوله: هم الأنبياء والأوصياء[١٠٥].

ثم نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: السلام على ميزان الأعمال.

ومن هنا فان ما نقرأه من أخبار وروايات حول هذا الميزان فان المراد بذل هو المقياس للتفاوت بين الأعمال الحسنة والسيئة، بل ولتقدير وتحديد ثواب الأعمال الصالحة التي قام بها الإنسان في حياته من جانب، وعقاب ووزر الأعمال الطالحة التي اقترفها في حياته أيضاً.

نحن نقول أن هناك ميزاناً للحرارة، وميزاناً للهواء، وميزاناً لقياس ضغط الدم، وغير ذلك من الموازين المختلفة، وحيث نجد أن لكل ميزان من هذه الموازين شكلاً معيناً، ومظهراً مختلفاً، بل وعملاً مغايراً، فكيف إذا كان ذلك الميزان خاصاً بالأعمال والأفعال، فلابد أن يكون بشكل يتناسب وأيّاها كما يتصوره البعض من أنه كموازين البضائع والمشتريات لفه كفتان أثنان!!

ما الذي يثقل الميزان

نقرأ في القرآن الكريم العديد من الآيات المباركة(١٠٦) المشيرة إلى أن نجاة الانسان يوم القيامة في ثقل موازينه، وهلاكه في خفتها، وهذا الأمر يستدعي بالساعي للنجاة يومئذ البحث والتقصي، والعمل الجاد من أجل إثقال ميزانه، وترجيح كفة أعماله الصالحة، لينأى بنفسه عن نار جهنم، وعن عذابها الذي لا يوصف.

ثم أن هذا السعي يقود المرء للتساؤل عن ما هو أثقل من الأعمال الصالحة ليسعى نحو انجازه وتحصيله، وادراكه ليكون يوم القيامة ما يُرجح أعماله الصالحة، وأفعاله الحسنة.

والتقصي في جملة واسعة ومتعددة من الروايات والأخبار يُظهر ان هناك جملة من الأعمال هي أرجح في الميزان، وأثقل فيه، وهو ما يستحث المؤمن للعمل من أجل تحصيلها وادراكها.

نعم، فانّا نجد الكثير من هذه الأخبار تؤكد مثلاً على ثقل الخلق الحسن، والصلاة، والصوم، والإيمان بوحدانية الخالق دون شريك له، وبنبوة محمدﷺ وانه خاتم النبيين، والصلاة على رسول اللهﷺ، والتسبيح، وغير ذلك من الأعمال الحسنة تؤكد تلك الأخبار على ثقلها في الميزان يوم الحساب.

ولنتأمل في جملة من تلك الروايات والأحاديث الشريفة المتعرضة لهذا الأمر، والموضحة له.

فمن ذلك ما يُروى عن رسول اللهﷺ من قوله: ما من شيء يُضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة(١٠٧).

ونراهﷺ يؤكد على ثقل اليمان بكتاب الله تعالى ومعرفته، وبنبوتهﷺ، فيقول: خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه(١٠٨).

كما انه يروى عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وان الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به، فيُخرجﷺ فيضعها في ميزانه يرجح(١٠٩).

صحف الأعمال

البيان والحجج التي ستُقام يوم القيامة أمام الإنسان هي صحائف أعماله، وسجلات أفعاله، والتي يُدون فيها ما عظم ودق من أفعاله، فلا يفوتها شيء، ولا يغرب عنها أمر.

وهذه الصحف التي ستنشر يوم القيامة هي كل ما سلف للإنسان من عمل، بدقائقه وخفاياه، فلا يملك الإنسان إمامها نكران، ولا في دمغها حجة أو بيان.

وسنحاول على عجالة هنا التعرّض لماهية هذه الصحف من خلال المواضيع والنقاط التالية:

١ - تعريف القرآن الكريم بها.

٢ - ماهية هذه المصاحف من وجهة نظر الروايات والأخبار.

٣ - حقيقة هذه الصحف، وكيفيتها.

١ - الصحف في القرآن الكريم

تعرضت جملة متعددة من الآيات القرآنية المباركة إلى ما يتعلق بموضوع الصحف التي هي سجلات وأفعال الإنسان طيلة حياته في الدنيا، والتي ستكون يوم القيامة المحك الكبير الذي سيُطرح للمعاينة والمساءلة عما فيه، بل والذي سيكون المقياس الذي سيحكم على عاقبة الانسان حينئذ، وسنحاول هنا الاشارة إلى البعض من تلك الايات المباركة:

يقول تعالى في سورة الزخرف: ﴿**ورسلنا لديهم يكتبون**﴾[١١٠].

ويقول جل اسمه في سورة يس: ﴿**ونكتب ما قدموا وآثارهم**﴾[١١١].

وأما في سورة القمر فيقول سبحانه: ﴿**وكل صغير وكبير مستطر**﴾[١١٢].

وفي سورة التكوير يقول تبارك وتعالى: ﴿**وإذا الصحف نُشرت**﴾[١١٣].

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[١١٤].

وفي سورة الحاقة يقول تبارك شأنه: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابية... وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾[١١٥].

وفي سورة المطففين يقول عز من قائل: ﴿كلا إن كتاب الفجّار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم... كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون﴾[١١٦].

ثم اننا لو تأملنا في مطاوي جمل معينة من الآيات المباركة الكريمة لوجدنا أن هناك أنواعاً ثلاثة لهذه المصاحف وهذه الكتب[١١٧].

١ - في بعض تلك الآيات الكريمة اشارة إلى ان هناك لكل فرد صحيفة أعمال خاصة به كما في قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[١١٨].

٢ - وفي بعض من الآيات الكريمة اشارة إلى ن لكل أمة كتاب تُدعى اليه يوم القيامة للحساب، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تُدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنت تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[١١٩].

٣ - بل ونقرأ أن هناك كتاباً خاصاً بجميع الخلائق، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾[١٢٠].

٢ - صحف الأعمال في الروايات والأحاديث الشريفة

كثيرة ومتعددة هي بلا شك الروايات والأحاديث المتعرّضة لصحف الأعمال يوم القيامة، بيد اننا سنحاول هنا الاشارة المتعجلة للبعض منها، ايضاحاً للمطلب، وتتميماً للفائدة.

فمن ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله: يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه واخذ بشماله[١٢١].

وروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاث

مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط المستقيم، وعند الميزان[١٢٢].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله في احدى خطبه: ونستغفره مما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه، علم غير قاصر، وكتاب غير مغادر[١٢٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قوله: ولست تشهد الجوارح على مؤمن، إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيُوتي كتابه بيمينه[١٢٤].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أحد أصحابه قوله: إذا كان يوم القيامة دُع إلى الانسان كتابه، ثم قيل له أقرأ.

فقال الراوي: ويعرف ما فيه؟

فقال عليه السلام: إن الله تعالى يُذكره، فما من لحظة ولا كلمة، ولا نقل قدم، ولا شيء فعله الا ذكره كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿**يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾[١٢٥] [١٢٦].

وعنه عليه السلام أيضاً: إن المؤمن يُعطي يوم القيامة كتابا منشوراً مكتوب فيه: كتاب الله العزيز الحكيم: ادخلوا فلاناً الجنة[١٢٧].

٣ - ما هي صحف الأعمال

من جملة التساؤلات والاستفسارات التي تلح على خطار المرء عند حديثه عن الآخرة وبالتحديد الصحف التي ستنشر فيها لإظهار أعمال البشر منذ بداية الخلق وإلى نهاية العالم، هي: ما هي تلك الصحف، وكيف تكون؟

هل هي كما يتصور أوراق وصحف كما هي عندنا في هذه الحياة الدنيا، أم ماذا.

نحن هنا لا يمكننا قطعاً الجزم بماهية تلك الصحف، قدر ما نريد ان نستعرض جملة ما قيل وما ذكر عنها.

نعم، فان جملة من العلماء والباحثين والمحققين الاسلاميين قد توقفوا كثيراً امام هذه الحقيقة، وحاولوا ايجاد تفسير واضح لها يتفق مع القواعد الاساسية المرتكزة على القرآن والسنة المطهرة، إلا ان الامر زال دون القطع، والحديث دون التأكيد المبرم.

فلا يمكن بأي حال من الأحوال ان نتصور أن هذه الصحف هي كسجلات وأوراق الدنيا التي نعرفها، لأن احصاء أعمال أي أنسان يستغرق عشرات الآلاف من الأوراق والصفحات الكبيرة، وهذا

مـا لم يمكن أن يطالعه الإنسـان يـوم القيامة ليعرف جميع أعمـاله التي قدمها، لاسيما والآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة تذهب إلى أن الانسان يتبين ذلك من خلال النظرة الأولى، فكيف يمكن أن يتفق مع هذه الآلاف المؤلفة من الصحف والأوراق؟! إن ذلك خلاف الواقع والمنطق بلا أدنى شك.

ثـم ان هنـاك جملـة نظريـات حاولت ان تـدلي بدلوهـا في هذا المعترك المهم والحسـاس، سـنحاول الاشارة اليها:

١ - ذكـر العلامة الفيض الكاشـاني رحمه الله تعالى: هي بعينها نفسـه التي رسـخت بهـا آثار اعماله بحيث انتقشت بها[١٢٨].

والمتأمـل في نظريتـه هذه يجدها مخالفة مـع ظواهر العديد من الروايات والأخبار المشـيرة إلى تطاير الصحف يوم القيامة، فتدبر.

٢ - وذهـب البعض الآخر إلى أن المراد بصحيفة الأعمال هذه هو تجسـد وتجسـم الاعمال السـالفة للانسـان، واسـتطاعت هذه الاسـنان من رؤية أعماله تلك على صورته السـابقة، وهو بحث سـبق أن أشرنا اليه في موضوع تجسم الاعمال، فراجع وتأمل.

وهـذا الـرأي كما هو واضح لما تشـير اليـه الآيات والروايـات والأخبار من قيام الملائكة بتسـجيل أعمال الإنسان وكتابتها طيلة حياته.

٣ - حين نجد أن البعض الثالث يذهب إلى القول بأن ما يُراد بالصحف هو ما يسـتجد في الضمير البري، والشـعور الأخلاقي من ترسـب لهذه الأعمال في باطن الانسان، وحيث تكون ماثلة في داخله، وشاخصة في باطنه.

وهذه النظرية هي مشـابهة - كما هو واضح - لما سـلف لنا الاشارة اليه في نظرية الفيض الكاشاني، وحيث تتفق معها بمخالفتها لظواهر الآيات والروايات المبينة لهذا الأمر.

وعمومـاً فـإن مرجـع تلك الأمور هـي لله تبارك وتعـالى، وهو الـذي يقدر ويدبـر كل شيء، وأما تصورنـا لهـذه الأشـياء أو النظريات فهـو مبني عـلى المعطيات البشريـة المتحددة بالقدرات الانسـانية وتصوراتها وتأويلاتها.

نعـم، ان ذلـك من الأمور الغيبية التي تصدر عن القـدرة الالهية التي لا تحدها حدود، ولا تؤطرها أُطـر، والله تعـالى هو المدبر لذلـك الأمر بقدرته وحكمته، ونحن لا نملك إلا التسـليم بان البارئ جل اسـمه إذا أراد شـيئا فإنما يقول له كن فيكون، وعند ذلك تخرج كل الأمور عن التصور البشري لتتعلق بالقدرة الالهية، وحكمتها الكاملة[١٢٩].

الخلود في الجنة والنار

من المواضيع المتعلقة بالمعاد ونتائج الأعمال مسألة الخلود في الجنة والنار، ومن تسري عليه هذه الحالة ومن لا تسري عليه.

ولا يخفي علي القارئ الكريم أن في أيضاح هذه القضية قرائن وشواهد مختلفة ومتعددة مستلة من القرآن الكريم ومن الاحاديث الشريفة المنقولة عن أهل بيت العصمة الأطهار عليهم السلام.

وإذا كنّا لا نجد خلافاً في أن من رحمة الله تعالى ودخله جنته - سواء أكان ذلك الدخول بدون عذاب سبقه، أو بعده - فانه خالد فيها، غير خارج منها، فان الخلود في النار والبقاء فيها يخضع لضوابط وتصنيفات تحددها حالة ذلك المرء، ومدى ما هو عليه من الأمر المخالف للشرائع السماوية.

نعم، فان هناك الكثير من الآيات والروايات الشريفة تخصص مسألة الخلود في جهنم بجماعات معنية مصفنة مثل: الكافرين، والمنافقين، والطواغيت، والمنكرين لضروري من ضروريات الدين، وغيرهم مما سنشير إلى جانب من ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى.

إن هذه الجماعات المنحرفة سلف أن تمت عليها الحجة في حياتها، ولكنها أصرّت على ذلك، وماتت وهي علي ما هي عليه عاكفة، فحق عليها العذاب والخلود في نهار جهنم.

ولنتأمل في بعض من تلك الايات المباركة لنرى بوضوح الحكم الالهي القطعي بخلود هذه الجماعات في النار.

يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿**والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾[١٣٠].

وفي سورة المائدة يقول سبحانه: ﴿**إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه**

ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم * يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[١٣١].

بل ونجد هذا التعبير في جملة اخرى من الآيات القرآنية المباركة، وفيها تصريح بهذا الأمر، وتأكيد عليه، وكلها تؤكد على خلود جملة من الجماعات في النار[١٣٢].

بل ونقرأ في آيات أُخر أمراً أكثر تأكيداً من خلال القول بـ(خالدين فيها أبداً) حيث تبيّن كلمة (أبداً) مسألة التأكيد على الخلود في النار[١٣٣].

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل لعل البعض يجد من الملزم ايجاد جواب وحل له، لما يراه من ظاهرة تستدعي الملاحظة والتأمل.

فإذا انكب ما طوال عمره البالغ مثلاً مائة سنة على ارتكاب الذنوب، فكيف يمكن أن يُعاقب على ذلك بان يبقى جهنم مليون سنة؟ اليس حدود ما ارتكب من معصية كانت لا تتجاوز المليون سنة، فكيف يُعاقب بمدة تزيد على عمره، وباضعاف مضاعفة؟

أقول: ان الأمر الثابت الذي لا خلاف فيه أن الله تعالى عادل لا يظل أحداً، وان حجمه كما هو جل اسمه عدلا لا حيف فيه ولو بمقدار ذرة، وهذا ما يجب أن لا يغرب عن ذهن المرء وهو يتأمل في هذا التساؤل.

بقي ان نقول ان هناك جملة اجوبة وتعليلات طرحت لذا التساؤل من قبل البعض يمكننا استعراضها ومناقشتها للتوصل إلى الحل السليم في هذا الأمر.

يقول هذا البعض أن الجزاء المترتب على المجرم أو المخالف ينحصر ضمن بعدين اساسيين، أولهما الحكم المتناسب والجرم، والذي ينبغي ان يكون متناسباً والجرم المرتكب، وأن لا يكون في أي جانب منه خلافاً أو تنافراً مع العدالة.

أما البعد الثاني، وهو مايصطلح على تسميته بالتكويني والطبيعي، فان المعروف لدى الباحثين والمحققين كون العذاب هو نتيجة طبيعية للعمل الخاطئ، وخاصية بديهية مترتبة على وقوعه.

فلو أن شخصاً ما عمد إلى فقأ عينه بيده مستخدماً سكيناً حادة، فأن هذا العمل لن يستغرقه أكثر من دقيقة واحدة، إن لم يكن ثوان معدودة، بيد أن نتائج هذا العمل، وآثاره السلبية ستبقى ملازمة له طوال عمره الذي قد يطول ليصل إلى مائة سنة أو أكثر.

فهل رأيت كيف أن فعلا لم يستغرق دقيقة ترتب عليه عذاب ومعاناة لسنين طويلة ومتعاقبة.

وكذا هو الحال بما يقدم متعمداً على تعاطي المخدرات مثلاً، فان نتائج ذلك العمل من ضعف الأعصاب، وانهدام الجسم تلازمه طول ما بقي حياً.

فالعـذاب المترتـب على العصـاة في جهنم هو عين تلـك الآثار الطبيعيـة والتكوينيـة لأعمالهم التي اقترفوهـا في حياتهـم الدنيـا، وغادروهـا وهـم عليها منكبـون وعاكفون، فلاقـوا جزاء مـا اقترفوا في الآخرة.

ان الانبيـاء والمرسـلين، والائمـة والصالحين لم يألـوا جهداً في دفـع الناس عن ارتـكاب المعاصي، واقتراف المآثم، وأقاموا الحجة تلو الحجة، والبرهان تلو البرهان، بيد أن هؤلاء الناس قد أعرضوا عن كل ذلك، ولم يلقوا اليه سمعاً، فهم من سعى إلى حتفه بيده، وطلب بالحاح ايقاع العذاب به.

بـلى ان مـا يلاقيه هـؤلاء العصاة هو جزاء ما اقترفوه من أعمال، ومصـداق ذلك ما ورد في الحديث الشريف: انما هي أعمالكم ردت اليكم.

وعمومـاً فإننا لـو تأملنا في ما أجرمه هؤلاء الناس لوجدنا ان الجـرم لا يتحدد بالزمن المرتكب به، بل بطبيعته وخاصيته[١٣٤].

القسم الخامس

أسماء يوم القيامة، والآثار المعنوية والتربوية المترتبة على الاعتقاد بمسألة المعاد

المدخل

ذكرنـا آنفـاً، وفي مفتتـح كتابنا هذا أ المعاد يشـكل في مناهج الأنبياء والمرسـلين الأصـل الثاني بعد التوحيـد، ولـذا فانهـم كانـوا يولونه أهمية قصـوى، وعناية كـبرى مؤكديـن وملحفـين في التنبيه على شـعوبهم وأممهم بوجوب الاسـتعداد والتهيؤ لمثل هذا اليوم الذي تنصب فيه محكمة السماء، وينال كل ذل حق حقه، وتجزي كل نفس بما كسبت.

والإسلام العظيم، وهو خاتمة الأديان وآخر مناهج السماء، كان لابد أن يولي هذا الأمر أهميته التي يسـتحقها، وأن يشـدد التذكير بذلك كثيراً ومتوالياً، وحيث نجد بوضوح أن ذلك متجسـد من خلال التكرار الواسع لذكره في الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة.

نعم، فانّا لو طالعنا في كتاب الله العزيز لوجدناه يتعرض لمسـألة المعاد يوم القيامة في حدود ١٢٠٠ آية قرآنية مباركة، متناثرة في مطاوي سور القرآن الكريم.

ومما لا شـك فيه ان هذا التكرار المتوالي للمعاد جاء وفق المنهج السـماوي في بناء الانسـان واعداده وحفظه من الضياع والتردي، والانزلاق في مهاوي ومزالق الدنيا المختلفة.

ثـم ان التأمـل في هـذه الآيـات الكريمة يظهـر لنا أن ذكـر المعاد أو يـوم القيامة قد ورد بتسـميات وعناوين متعددة، لعلها تصل إلى سبعين اسماً وعنوانا، لكل من هذه الاسماء أو العناوين حكمة وغاية سماوية تتوافق والغرض الذي تتحدث وتشير له تلك الآيات المختلفة.

وعمومـاً فانّا سـنحاول سـوية – وبإذن الله – التعـرض إلى جملة من تلك التسـميات أو العناوين، وبشكل موجز ومختصر.

التسميات القرآنية ليوم القيامة

لا خـلاف فيـه بأن القرآن الكريم عند ذكـره للعموميات الكبرى المتصلة بيـوم القيامة، قد أولى في تلك الجوانب الأبعاد الجزئية لذلك اليوم من خلال التعرض الواسـع، والتعابير المختلفة في تسـميات هذا اليوم - والتي ذكرنا أنها في حدود السـبعين اسـماً - وأورد من خلال تلك المسميات، والاوصاف الخاصـة بها، ما يتصـل بالاختصاصات والمعطيـات المتصلة بذلك اليوم، وهذا ما سـنراه عند تعرضنا لجملـة من تلك التسـميات، مسـتدلين في حديثنا بآية واحدة عـلى العموم، محيلين القـارئ الكريم إلى مطالعة ذلك واستقرائه في مطاوي الكتاب العزيز، وهو أمر لا يعسر عليه قطعاً:

١ - يوم القيامة:

وهو أشـهر أسـماء المعاد، ومن تدور عليه رحى الحديث، حتى اننا نجد أن سـورة كاملة في القرآن تُدعى بالقيامة.

ومن جملة تلك الآيات قوله سبحانه وتعالى في سورة القيامة: ﴿**لا أُقسم بيوم القيامة**﴾[١].

وقوله جل اسمه أيضاً في سورة الأنبياء: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[٢].

أما لو تسـاءل المرء عن علة تسـمية هذا اليوم بيوم القيامة مثلاً، فإنه هناك جملة متعددة من التفاسير المقترنـة بهـذا الأمر، ممـا يمكن أن يسـتند اليها - سـواء في الآيـات القرآنية المباركـة، أو الاحاديث الشريفة - في ما يمكن أن تعلل فيه هذه التسمية، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

١ - ان ذلك اليوم هو اليوم الذي يُدعى فيه الناس للوقوف والقيام في محكمة السـماء بين يدي الله تبارك وتعالى، فهو يوم يقوم فيه الناس للمحاكمة والجزاء.

يقول تعالى في سورة المصطففين: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾[٣].

٢ - هـو اليـوم الذي يقف فيـه الملائكة - بل وأعظمهم بـما يُعرف بالروح - صفـاً لاجراء وتنفيذ

الحكم الالهي، وهو ما يشير اليه قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾[٤].

٣ – بل هو اليوم الذي يقوم فيه الشهود لاداء شهادتهم في ما اثبته صحف أعمال ابن آدم في حياته الماضية قبل موته.

يقول سبحانه في سورة غافر: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾[٥].

٤ – وأخيرا أليس هو اليوم الذي يقوم فيه الناس جميعاً من موتهم، ويخرجوا فيه من قبورهم قياماً ينظرون.

يقول جل شأنه في سورة الزمر: ﴿ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[٦].

٢ – يوم الدين:

الاستقراء في مجمل الايات المتعرضة للمعاد يُظهر أن هناك ما يقارب من ثلاثة عشر اية تُسمى ذلك اليوم بيوم الدين، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿مالك يوم الدين﴾.

ويوم الدين هو يوم الحساب ويوم الجزاء، والدين في اللغة يعني أيضاً، الانقياد والطاعة،ولذا فإن ذلك اليوم هو يوم انقياد وطاعة جميع المخلوقات لله تبارك وتعالى، ووقفوها للحساب عند تلك الطاعة، ومدى ما كانت أعمالها مندرجة تحت ذلك الاطار المقدس.

٣ – يوم الفصل:

يقول تعالى في سورة النبأ: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾[٧].

ان ذلك اليوم هو يوم الفصل بين العباد، والقضاء والحكم، فهو يوم الفصل بين الحق والباطل، وهو يوم اعطاء الحقوق، وتلقي الجزاء.

ثم انه ذلك اليوم الذي يتم فيه الفصل بين المؤمنين والكافرين، وبين الصالحين والطالحين، بل ويوم انفصال كل انسان عن غيره، لأنه يوم عظيم لا ينشد الانسان فيه إلا نجاة نفسه مما يراه من الهول الشديد، والموقف العصيب.

يقول تعالى في سورة عبس: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأُمّه وأبيه! وصاحبته وبنيه﴾[٥].

٤ – يوم الحسرة:

بلى هو يوم يوم تحسر الانسان على ما فرط في جنب الله تعالى، وشدة تأسفه على ما فاته من الطاعات التي سيرى عياناً عظيم الجزاء عليها.

نعم، انه يوم يتحسر فيه العاصي عندما يرى العذاب عياناً وانه لا يستطيع له دفعاً، ويتحسر فيه المؤمن أيضاً لما يرى فيه من الدرجات العظيمة لمن سبقه في الفضل، وتفوق عليه في الطاعة.

يقول تعالى في سورة الزمر: ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله﴾[٩].

٥ - يوم التغابن:

وردت في القرآن الكريم سورة كاملة بهذا الاسم، من آياتها المباركة قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾[١٠].

ولذلك الأمر تفسيرات متعددة، سنحاول أن نورد مختصراً ما ذكره استاذنا العلامة الطبطبائي من وجوه تلك التفاسير.

يقول رحمه الله تعالى: قال الراغب الاصفهاني: الغبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الاخفاء. قال: ويوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن المعاملة المشار اليه بقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ وبقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ الاية، وبقوله تعالى: ﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾.

فعلموا أنهم غُبنوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوهم من ذلك جميعاً.

وسئل بعضهم عن التغابن: فقال: تبدو الاشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا.

بيد أن العلامة رحمه الله تعالى اضاف بعد ذلك: أن ذلك مبني على تفسير التغابن بسريان المغبونية بين الكفار بأخذهم لمعاملة خاسرة وتركهم معاملة رابحة، وهو معنى حسن، غير انه لا يلائم معنى باب التفاعل لجميع أهل الجمع من مؤمن وكافر، أما المؤمن فلما انه لم يعمل لآخرته أكثر مما عمل، وأما الكافر فلأنه لم يعمل أصلاً، بيد أنه ذكر بأن هذا الوجه يرد عليه ما يرد على سابقه.

وأما الوجه الثالث لذلك فهو أن يعتبر التغابن بين أهل الضلال، متبوعيهم وتابعيهم، فالمتبوعون - وهم المستكبرون - يغبنون تابعهيم - وهم الضعفاء - حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا وترك الآخرة فيضلون، والتابعون يغبنون المتبوعين حيث يعينونهم في استكبارهم باتباعهم فيضلون.

والوجه الرابع في ذلك وردت به الرواية، وهو أن لكل عبد منزلاً في الجنة، لو أطاع الله تعالى لدخله، ومنزلاً في النار لو عصى الله تعالى لدخله.

ويوم القيامة تُعطى منازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة، وتُعطي منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، فيكون أهل الجنة - وهم المؤمنون - غابنين لأهل النار - وهم الكفار - والكفار هم المغبونون[١١].

٦ - يوم التناد:

والتنادي من النداء، وقيل في تسمية يوم القيامة به لمناداة الناس بعضهم بعضاً يومئذ بالويل والثبور، أو تنادي أهل الجنة وأهل النار، وقيل لعله مناداة كل اُناس بإمامهم.

يقول تبارك وتعالى في سورة غافر حاكياً عن مؤمن آل فرعون وهو يحذر قومه: ﴿ويا قوم إني

أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾[١٢].

٧ - **يوم التلاق:**

يقول الله تبارك شأنه في سورة غافر: ﴿يُلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لُينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾[١٣].

نعم، هو اليوم الذي تتلاقى فيه الأرواح والاجساد، بل وكل امرئ وما عمل في حياته، فيلاقي الظالم من ظلم، والسارق من سرق، هو ملاقاة كل واحد بقرينه، بل غير ذلك من مظاهر التلاقي يومئذ.

٨ - **اليوم العسير:**

هو اليوم الشاق الذي أنذر الله تعالى عباده من ملاقاته إلا بالعدة التي تنجيهم منه، وتنأى بهم عن عذابه.

يقول جل اسمه في سورة المدثر: ﴿فإذا نُقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير﴾[١٤].

٩ - **اليوم العبوس:**

قال سبحانه وتعالى في سورة الدهر حاكياً عن لسان أهل بيت النبوة الأطهار: ﴿إذا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾[١٥].

والعبوس هو المكفهر لشدة ما يلحقه من أمر عسير، والقمطرير يُراد به شدة العبوس، ولعل المراد به هنا اكفهرار وتعبس وجوه الناس - والكفار بالتحديد - لشدة ما يرونه من العذاب، أو هو صفة لذلك اليوم الشديد، والله تعالى هو العالم بكل شيء.

١٠ - **يوم الوعيد:**

هو ذلك اليوم الذي وعد به الجميع، فانهم ملاقوه يومئذ، وملاقو ما فيه من الحساب والمساءلة والجزاء.

يقول جل شأنه في سورة ق: ﴿ونُفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾[١٦].

١١ - **اليوم الأليم:**

لقد تكرر كثيرا التحذير بالعذاب الأليم للعصاة في القرآن الكريم، وهو ما سترتب على أعمالهم يوم القيامة، ومن هنا فان اطلاق صفة اليوم الأليم على يوم الحساب هو من مصاديق ذلك الأمر.

يقول تبارك وتعالى في سورة الزخرف: ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾[١٧].

١٢ - يوم الحق:

هو اليوم الثابت الوقوع، والذي لابد من حدوثه، بل وهو اليوم الذي يُحق فيه الحق، ولا حكم فيه ولا قول إلا بالحق، فلا يسع أحد إلا قول الحق، ولا ميزان فيه إلا ميزان الحق، وهكذاً.

يقول الله تعالى في سورة النبأ: ﴿**ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً**﴾[١٨].

١٣ - يوم الآزفة:

هو من أزف، أي قرب وحان، هو تنبيه للخلق بان الساعة التي يرونها بعيدة ما هي إلا قريبة منهم، وشيكة الوقوع، سيتنبهون عن وقوعها على غفلة منهم فيصبح حالهم كالنائم الذي يصحو من نومه فيجد أن ما مر به لم يكن لا لحظات عابرة، أو برهة ماضية، فيحل به الندم، ويطبق عليه الأسى.

يقول جل شأنه في سورة المؤمن: ﴿**وأنذرهم يوم الآدفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع**﴾[١٩].

نعم، انه يوم قريب وشيك الوقوع والناس في غفلة منه، يعتقدون أنه بعيد، بل أبعد مما يتصوره العقل، متناسين أن الموت يحل على حين غرة، وحين يموت الانسان تقوم قيمته، وبل ولم يحس إلا بالنداء للوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى للحساب في يوم المعاد.

يقول تعالى في سورة الانباء: ﴿**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**﴾[٢٠].

١٤ - يوم الخلود:

هو ذلك اليوم الموعود به الخلق به انقضاء يوم الحساب، وحيث افضى كل واحد إلى ما عمل، انه اليوم الذي لا موت بعده كما في الدنيا، انه يوم الخلود لمن دخل الجنة وفاز برضوان الله تعالى، وهو أيضا يوم الخلود لمن حكم الله تعالى بخلوده في نار جهنم.

فأهل الجنة يخاطبون: ﴿**ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود**﴾[٢١].

وأما من حكم الله تعالى بخلودهم في النار: ﴿**ذلك جزاء أعدا الله النار لهم فيها دار الخلد**﴾[٢٢].

١٥ - يوم الجمع:

ذلك اليوم الذي يجمع الله تعالى به الأولين والآخرين، لا مخلوق منذ القدم إلى آخر العمر، من مشارق الأرض ومغاربها، كلهم سيُجمعون فيه للحساب والمساءلة والجزاء.

يقول عز من قائل: ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**﴾[٢٣].

١٦ - اليوم الآخر:

كثير هو ما جاء في القرآن الكريم من ذكر ليوم المعاد بهذا الاسم، فهو بين الآخرة[٢٤] أو اليوم الآخر.

والتعبير الآخرة يُرد منه ما بعد الدنيا، والدنيا هي من الدنو والقرب، أما الاخرة هي أبعد من الدنيا، وانها العالم الذي سيقي خلاف العالم الأول المتمثل بالدنيا، فذلك تذكير دقيق للانسان بأن هذه الدنيا لا ينبغي أن يتشبث بها، ويتعلق بأهدابها عازفا عن الآخرة، لانه يرتكب بذلك حماقة ما بعدها حماقة، لانه يترك الباقي الخالد من أجل الزائل الفاني.

يقول تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر**﴾[٢٥].

وفي سورة القصص يقول جل شأنه: ﴿**تلك الدار الآخرة تجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً**﴾[٢٦].

وفي سورة الضحى يقول سبحانه: ﴿**وللآخرة خيرك لك من الأولى**﴾[٢٧].

وأما في سورة الأعلى فيقول تبارك وتعالى: ﴿**والآخرة خير وأبقى**﴾[٢٨].

أقول: بل لو أننا تأملا في كتاب الله تعالى لوجدنا الكثير من التسميات الأُخر لذلك اليوم: كاليوم الموعود[٢٩]، واليوم العظيم[٣٠]، ويوم البعث[٣١]، واليوم القمطرير[٣٢]، ويوم الحساب[٣٣]، ويوم الخروج[٣٤].

بل ونجد في مطاوي القرآن الكريم جملة واسعة من التوصيفات المختلفة لليوم المعاد، كما في قوله تعالى في سورة الطارق: ﴿**يوم تُبلى السرائر**﴾[٣٥] وقوله جل اسمه في سورة المؤمن: ﴿**يوم هم بارزون**﴾[٣٦] وقوله سبحانه في سورة النحل: ﴿**يوم تأتي كل نفس تُجادل عن نفسها**﴾[٣٧] وغير ذلك، فراجع وتدبّر.

الآثار المعنوية والتربوية المترتبة على الاعتقاد بمسألة المعاد

مدخل

لا مناص من القول بأن لمسألة الترغيب والترهيب – زيادة ونقصاً – أثر كبير ومهم في سلوك ومنهجية الإنسان في حياته، فلا يسع أحد إنكار ذلك الأمر لأن عليه ابتنت الكثير من النظريات العلمية التي يوافقها العقل والمنطق، وبالتالي النتائج الواقعية على الميدان العملي.

ومن هنا فانّا نجد بوضوح اعتماد الأنبياء والرسل عليهم السلام، وطيلة حياة البشرية هذا المبدأ المرتكز على الرسائل السماوية التي يدعون اليها.

ومن الواضح بمكان أن مسألة المعاد والحساب والجزاء يوم القيامة هي من أعمق المظاهر العقائدية المبنية على هذا المنهج المهم والحساس، وحيث مثل في نظر البشرية الاساس القويم الذي لو اعتمدته لنأى بها عن الضياع والخسران الاخروي، وبالتالي فقد ساهم بشكل عميق في بناء وترصين المجتمع الانساني وفق المعايير الاخلاقية الالهية التي دعا اليها الرسل والانبياء والاوصياء عليهم السلام، وبالتالي العلماء والمصلحين على طول التأريخ.

نعم، ان الخوف من الموت وما سيتبعه بعد ذلك من الحساب العسير والشاق يوم القيامه هو من الأمور التي تدفع العقلاء إلى التفكير الجدي والرصين لاعتماد السبل السليمة التي تجنبهم المحاسبة والعقاب، وبالتالي تدعوهم إلى العمل الصالح ابتغاء للثواب والأجر عليه في الآخرة، وما سيلحقه من النعيم الثابت المقيم، والسعادة الأبدية الخالدية.

ومن هنا فقد دأب النبي الأكرمﷺ، وبالتالي أوصياؤه من الأئمة الصالحين من أهل بيت العصمة

عليهم السلام على التذكير بهذا الأمر، أي بالمعاد وبالموت الذي سيكون المفصل المؤدي إلى الجزاء والحساب، والثواب والعقاب، لما لذلك من الأثر التربوي في حياة البشرية، وبالتالي فقد سار على منهجهم هذا الصالحون من المؤمنين، والمخلصين من العباد.

ولنحاول سوية في مطاوي صفحات كتابنا التأمل في بعض من هذه الأحاديث والأخبار تتميماً للفائدة، وتذكيراً لنا وللقارئ الكريم بهذا الأمر الحق الذي لابد منه، ولا مهرب ولا نجاة منه.

يقول الإمام الصادق‌عليه‌السلام: ذكر الموت يُميت الشهوات، ويقلع منابت الغفلة... ويُرق الطبع، ويكسر اعلام الهوى، ويُطفئ نار الحرص، ويُحقّر الدنيا(٣٨).

وعن الإمام الحسين بن علي‌عليه‌السلام: ما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب(٣٩).

وسُئل أمير المؤمنين علي‌عليه‌السلام: صف لنا الموت.

فقال‌عليه‌السلام: على الخبير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة ترد عليه:

إما بشارة بنعيم الأبد.

وأما بشارة بتعذيب الأبد.

وإما تخويف وتهويل لا يدري من أي الفرق هو.

أما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه، يأتيه الخبر مبهما مخوفاً، ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا، فاحتملوا وأطيعوا، ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله تعالى، فان من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة(٤٠).

وكان الإمام الساجد‌عليه‌السلام يقسم أمواله جميعاً بين الفقراء والمساكين والمحتاجين، وحين يرى فقيراً، أو سائلاً معدماً يتذكر الآخرة، وأن هذا المسكين هو حامل زاده اليها، فيقول له‌عليه‌السلام وهو يعطيه: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة(٤١).

بل وها هو‌عليه‌السلام يروي عنه أحد صحابته قائلاً: حججت مع علي بن الحسن‌عليه‌السلام فالتأثت(٤٢) عليه الناقة في سيرها، فأشار اليها بالقضيب ثم قال:

آه لولا القصاص. ورد يده عنها(٤٣).

وروي زرارة بن أُين قال: سُمع سائل في جوف الليل وهو يقول: أين الزاهدون في الدينار، الراغبون في الآخرة؟

فهتف به هاتف من ناحية البقيع يُسمع صوته ولا يُرى شخصه: ذاك علي بن الحسين عليه السلام[٤٤].

وقيل لأبي ذر الغفاري (رحمه الله): ما بالنا نكره الموت؟

فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرون أن تنقلون من عمران إلى خراب.

فقيل له: كيف ترى قدومنا إلى الله تعالى؟

فقال (رحمه الله): أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فكيف حالنا عند الله تعالى؟

قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله عز وجل يقول: ﴿**ان الأبرار لفي نعيم * وأن الفجار لفي جحيم**﴾[٤٥].

فقال له سائله: فأين رحمة الله تعالى؟

قال: ﴿**رحمة الله قريب من المحسنين**﴾[٤٦].

الآثار الاعتقادية بالمعاد في القرآن الكريم

تنطـوي جملة متعددة مـن الآيات القرآنية المباركة عـلى نماذج مختلفة للآثار التربويـة والمنهجية في حياة الإنسان من خلال اعتقاده بمسألة المعاد والحساب والجزاء يوم القيامة.

ولعل التأمل البسيط في الاشارات المختلفة التي ستمثل المعطيات الحياتية والاعتقادية عند الإيمان والتمسك بالتقيد السلوكي المرتبط بهذا الأمر، سيظهر بلا أدنى شك ما تعنيه هذه المسألة، وما ستترتب عليها من آثار بعد ذلك.

ولنحاول سوية التعرّض لبعض تلك المعطيات من خلال جملة محددة من الآيات القرآنية المباركة:

١ - تأثير الإيمان بالمعاد في نفي الشرك وأداء الأعمال الصالحة:

يقـول تعالى في سـورة الكهـف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشـرك بعبادة ربه أحداً﴾[٤٧].

وسرد الآية واضح لا يحتاج معه إلى بيان وتوضيح.

٢ - الآثار الاقتصادية في مسألة الإيمان بالمعاد:

يقـول الله تعـالى في سـورة المطففين: ﴿ويـل للمطففين * الذيـن إذا اكتالوا على الناس يسـتوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * إلا يظن أولئك أهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[٤٨].

وفي هـذه الآيـات، ومن خلال التذكير بيوم الدين، توجيه وتنبيـه اقتصادي وتربوي في منع ظاهرة سـيئة في التعامـل الاقتصادية البشري عند جماعات مـن الناس، وبالتالي هو تحذيـر للآخرين من مغبة الوقـوع بهذا الـشرك. والتطفيف هو بخس المكيال والميزان، وأُسـمى كذلك لأن مـا تتم سرقته نتيجة لذلك قليل وطفيف.

فهؤلاء الناس اذا اكتالوا من الناس استوفوا حقهم كاملاً لا نقص فيه، ولكن إذا كالوا لهم – أي الناس انقصوا في الميزان، وقللوا في الكمية، وبشكل قليل وطفيف قد لا يلتفت اليه الكثيرون ولكنه سرقة وخداع.

٣ – تقوية النفوس، وحثها على مجاهدة الكفار:

تلعب مسألة الإيمان بالمعاد والجزاء دوراً هاماً وعظيماً في بث الشجاعة وروح الاقدم والتضحية في النفوس المؤمنة، ونفي الخوف والتردد عنها عد موجهتها للظلم والطغيان، لما تعنيه لهم من توقع جزاء عظيم من قبل الله تعالى في الآخرة، وعند الحساب.

وهذا الأمر لا يحتاج إلى مزيد شرح، وزيادة تفصيل، لأنه مردود للجميع، ومسلم به عندهم، وفي القرآن الكريم له شواهد كثيرة ودلائل متعددة، ولكن لنستعرض سوية – وباختصار – واقعتين مذكورتين في القرآن الكريم، أولاهما ما حصل بين طالوت وجالوت، وكيف أصبح مبدأ الإيمان بالآخرة والمعاد هو المحك الرئيسي الذي حسم الأمر لصالح المؤمنين، رغم قوة الكافرين، وزيادة عدتهم، وثانيهما موقف سحرة فرعون من تجبره وطغيانه بعد إيمانهم.

ففي الواقعة الأولى يقول تعالى: ﴿**ألم تر إلى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله... وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً... فما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر... فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * ولما بروزا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله**﴾[٤٩].

وأما في الواقعة الثانية فيقول جل شأنه بعد أن استعرض المنازلة بين موسى عليه السلام وبين السحرة، وكيف تبيّن لهؤلاء أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس سحراً، وانما هو مدد واعجاز سماوي: ﴿**فأُلقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال أمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأُقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل وتعلمن أينّا أشد عذاباً وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما زنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من لسحر والله خير وأبقى * إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى * ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى**﴾[٥٠].

٤ - الاحساس والشعور بالمحرومين والضعفاء:

السعى نحو الفوز برضوان الله تعالى يدفع بالمؤمن إلى اعتماد الطرق والأعمال المقربة له، والمرضية والمحببة اليه تعالى.

ومن تلك الأعمال مساعدة وعون الفقراء والمحتاجين والمحرومين، فهي من القربات العظيمة إلى الله تبارك شأنه.

وفي القرآن الكريم جملة متعددة من هذه الأشارات، لعل أعظمها ما رواه جل شأنه عن أهل بيت النبوة - في علو منزلتهم، وعظيم إيمانهم - وكيف نراهم وعليهم السلام آثروا الفقراء والمساكين على أنفسهم، رغم ما هم عليه من الحاجة والضعف.

نعم، فجميعنا يعرف ما فعله أهل هذا البيت عليهم السلام من اعطائهم لطعامهم وهم صيام لمن طرق بابهم من المساكين واليتامى والأسرى، ولثلاث ليال متعاقبة، حتى أوشكوا عليهم السلام على الهلاك، وكل ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى، وسعياً لرضوانه، فكان لهم ذلك، وكرمهم الله تعالى أيما تكريم.

يقول جل شأنه في سورة الإنسان: **﴿ويُطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نُريد منكم جزاءاً ولا شُكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً... إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾**(٥١).

بل وهناك الكثير من الأبعاد والآثار التي لا يعسر على القارئ الكريم ادراكها ومعرفتها من خلال التأمل في مطاوي آيات القرآن الكريم، سائلين البارئ جل اسمه ان يوقنا للاقتداء بذلك، وأ يجعل الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء نصب أعيننا. وأن يوفقنا لنجاوز عقباتها وشدائدها، وأن يمن عينا برضاه، ويغفر لنا خطايانا، ويدخلنا الجنة برضاه وعفوه، إنه نعم المولى ونعم النصير، الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

الهوامش

الدلائل المختلفة لإثبات المعاد

(١) تراجع اصدراتنا السابقة التي تعرّضنا فيها لدراسة اصول الدين، والتي صدرت لحاقاً لنتمها باذن الله تعالى في الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم.

(٢) عقائد الامامية ٣٠١

(٣) أصل الشيعة واصولها: ٢٣٢

(٤) الاسراء:٤٩.

(٥) سبأ: ٧ – ٨.

(٦) السجدة: ١٠ – ١١

(٧) النمل ٦٧ – ٦٨.

(٨) المؤمنون: ٣٣ – ٣٨

(٩) الدخان ٣٤ – ٣٥.

(١٠) يس: ٧٧ – ٧٩.

(١١) ق:١٥.

(١٢) الروم: ٢٧.

(١٣) يس: ٧٧ – ٧٨.

(١٤) العنكبوت: ١٩.

(١٥) غافر: ٥٧.

(١٦) يس: ٧٨ – ٨٢

(١٧) الاحقاف: ٣٣.

(١٨) العنكبوت: ٢٠.

(١٩) ق:٩ – ١١.

(٢٠) الروم: ١٧ – ١٩.

(٢١) الحج: ٥ – ٦

(٢٢) فصلت: ٣٩.

(٢٣) فاطر: ٩.

(٢٤) الاعراف: ٥٧.

(٢٥) المؤمنون: ١٢ – ١٦.

(٢٦) عبس: ١٧ – ٢٢.

(٢٧) النجم: ٤٢ – ٤٧

(٢٨) القيامة: ٣٦ – ٤٠.

(٢٩) الحج: ٥ – ٦.

(٣٠) يس: ٧٩ – ٨٠.

(٣١) الميزان في تفسير القرآن: ١٧ – ١١٢.

(٣٢) الروم: ٣٠.

(٣٣) الدر المنثور ٥:١٥٥

(٣٤) نور الثقلين ٤:١٨٤

(٣٥) الميزان في تفسير القرآن ١٦:١٧٩.

(٣٦) النحل: ٧١.

(٣٧) تفسير شبر: ٢٧٣.

(٣٨) القلم ٣٤ – ٣٦.

(٣٩) الجاثية: ٢١ – ٢٢.

(٤٠) ص: ٢٨.

(٤١) ابراهيم: ٤٧ – ٥٢

(٤٢) طه: ١٥.

(٤٣) يس: ٥١ – ٥٤.

(٤٤) النساء: ٨٧.

(٤٥) الأنبياء ٤٧.

(٤٦) الجاثية: ٢٦.

(٤٧) يراجع كتابنا التوحيد دراسة معاصرة فقد تعرّضنا بالكثير من الشرح والتفصيل والمناقشة لهذا الموضوع ضمن مباحث الصفة الثبوتية لله تبارك وتعالى.

(٤٨) الذاريات: ٥٦.

(٤٩) البقرة: ٣٠.

(٥٠) المؤمنون: ١١٥.

(٥١) الحجر: ٨٥.

(٥٢) القيامة: ٣٦ - ٤٠.

(٥٣) الأنعام: ١٢.

(٥٤) لهذا الكتاب شـهرة كبيرة في العالم الغربي، حى أنه قد أُعيد طبعه خلال ثلاث سـنوات إلى ما يقارب من ٢٩ طبعة، وترجم أيضاً إلى أكثر من لغة.

(٥٥) المصدر المذكور: ١٨٣.

(٥٦) الكافي ٣:٢٣٣/ ١

(٥٧) الكافي ٣:٢٣٣/ ٢

(٥٨) في الوافي: أُريد بالجمعة الاسبوع لا اليوم بقرينة معطوفية.

(٥٩) الكافي ٣:٢٣٣/ ٣.

(٦٠) الكافي ٣:٢٣٢/ ٤.

(٦١) راجـع بحار الأنوار الجزء السـادس في مباحث الروح فقد أورد العلامـة المجلسي رحمه الله تعالى في مطاويه الكثير من هذه الروايات والأخبار.

(٦٢) السجدة: ١١.

(٦٣) الزمر:٤٢.

(٦٤) الانعام: ٦٠ - ٦٢

(٦٥) آل عمران: ١٦٩ - ١٧١.

(٦٦) البقرة: ١٥٤

(٦٧) غافر: ٤٥ - ٤٦.

(٦٨) الجمعة: ٨.

المعاد في القرآن الكريم والروايات الشريفة

(١) روى الصدوق عن ابن عباس أن أبا بكر خاطب رسول اللهﷺ: أسرع الشيب اليك يا رسول الله؟!
فقالﷺ: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون.
وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال: بينما نحن مع النبيﷺ في غر بمنى إذ نزلت عليه سـورة والمرسـلات عرفاً، فإنهﷺ يلتوها وإني لألقاها من فيه، وإن فه لرطب بها إذ وثبت عليه حية، فقالﷺ: اقتلوا، قال: فابتدرناها فذهبت، فقال النبيﷺ وقيت شركم كما وقيتم شرها.

(٢) المطففين ١٠ – ١١.

(٣) الرحمن: ٤٣ – ٤٤.

(٤) الطور: ٧ ١٦.

(٥) المدثر: ٣٨ – ٤٧.

(٦) السجدة: ٢٠.

(٧) سبأ: ٤٢

(٨) الصافات: ١٩ – ٢١.

(٩) النمل: ٦٦.

(١٠) سبأ: ٢١.

(١١) البقرة ٣ – ٥.

(١٢) مرجع ذلك ابهام الله تعالى في القرآن الكريم لاسم المار هذا، واسم القرية والقوم الذين كانوا يسكنون فيها، إلا ان الواضح من كل ذلك كون هذا الرجل نبياً مكلماً، وما حصل له هي آية وحجة على الناس تتصل بمسألة الأحياء بعد المت.
وعموماً فقد انتشر تفسير هذه الواقعة لدى الكثيرين منسوباً إلى العزيز﷤ والله تعالى هو العالم بكل ذلك.

(١٣) طه: ١١ – ١٢.

(١٤) القصص: ٣٠.

(١٥) البقرة: ٢٥٩.

(١٦) البقرة: ٢٤٣.

(١٧) الميزان في تفسير القرآن ٢:٣٦٢.

(١٨) وفي بعضها عن الإمام ابي جعفر الباقر﷣.

(١٩) الكافي ٨:١٣٨/ ٢٣٧

(٢٠) البقرة: ٢٦٠.

(٢١) قيل في بعض الروايات ان هذه الطيور هي: الطاووس، والديك، والحمام، والغراب، وفي البعض الآخر: النسر، والبط والطاووس، والديك. وفي اخرى: الهدهد، والصرد، والطاووس، والغراب. وفي رابعة: النعامة، والطاووس، والوزة، والديك، وفي خامسة: الغرنوق والطاووس، والديك، والحمامة. وعموماً فإن الملاحظ اشتراك الطاووس في جميعها كما هو واضح.

(٢٢) الكافي ٨:٢٠٨/ ٤٧٣.

(٢٣) الكهف: ٩ – ٢٦.

(٢٤) تفسير القمي ١:٣٥٢.

(٢٥) راجـع: بحـار الأنوار ١٣: ٢٥٩، وفي مطاوية جملـة من المصادر الناقلة لهذا الخبر كمعـاني الأخبار، وعيون أخبار الرضاﷺ، ومجمع البيان، وتفسير القمي، وتفسيرالعياشي وغيرها.

(٢٦) البقرة: ٦٧ – ٧٣.

(٢٧) القيامة: ٣ – ٤.

(٢٨) المعارج: ٤٢ – ٤٤.

(٢٩) الحج: ٧.

(٣٠) الانفطار: ١ – ٥.

(٣١) العاديات: ٩.

(٣٢) يس: ٥١ – ٥٢.

(٣٣) طه: ٥٥.

(٣٤) نوح: ١٧ – ١٨.

(٣٥) الاعراف: ٢٤ –٢٥

(٣٦) فاطر: ٩.

(٣٧) الروم: ١٩.

(٣٨) الزخرف: ١١.

(٣٩) الحج: ٥.

(٤٠) ق: ١١.

(٤١) يس: ٧٨ – ٧٩.

(٤٢) المؤمنون: ٣٥ – ٣٦.

(٤٣) القيامة: ٣ – ٤.

(٤٤) الاسراء: ٩٨.

(٤٥) النور: ٢٤.

(٤٦) فصلت: ٢١.

(٤٧) مريم: ٩٥.

(٤٨) الاسراء: ٧١.

(٤٩) النبأ: ١٧ – ١٨.

(٥٠) القمر: ٦ – ٧.

(٥١) القرعة: ٤.

(٥٢) الاسراء: ٧٢.

(٥٣) عبس: ٣٣ – ٤٢.

(٥٤) القلم: ٤٣.

(٥٥) ابراهيم: ٤٩.

(٥٦) الواقعة: ٢٧ - ٣٢.

(٥٧) الحديد: ١٢ - ١٣.

(٥٨) الزلزلة: ٧ - ٨.

(٥٩) الكهف: ٤٩.

(٦٠) الميزان في تفسير القرآن: ١٣: ٣٢٥.

(٦١) آل عمران: ٣٠.

(٦٢) الزلزلة: ٦ - ٨.

(٦٣) آل عمران: ١٨٠

(٦٤) راجع تفسير العياشي ١٥٨:١

(٦٥) الزمر: ٤٨

(٦٦) تفسير روح البيان ١٢١:٨.

(٦٧) راجع بحار الأنوار ٢٢٨:٧

(٦٨) كنز العمال ١٤: ٢٦٦

(٦٩) النبأ: ١٨.

(٧٠) القتّات: النمّام.

(٧١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٧٣:١٠

(٧٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤٠٢.

(٧٣) شرح المقاصد: ٣٦٥.

(٧٤) اصول الكافي ٢: ٩٥/ ٨.

(٧٥) المحاسن ٢٦٤:١.

(٧٦) الحج: ١٧.

(٧٧) يونس: ٤٦.

(٧٨) يونس: ٦١.

(٧٩) النحل: ٨٩.

(٨٠) النساء: ٤١.

(٨١) البقرة: ١٤٣.

(٨٢) اصول الكافي ٢٤٦:١/ ٢.

(٨٣) النساء: ٤١.

(٨٤) الكافي ١:٢٤٦/١.
(٨٥) ق: ٢٠ – ٢١.
(٨٦) الانفطار: ١٠ – ١٢.
(٨٧) الزلزلة:١ – ٥.
(٨٨) مجمع البيان ١٠: ٥٢٦.
(٨٩) انظر: بحار الانوار ٨٣: ٣٨٤.
(٩٠) تفسير الميزان ٦: ٣٣٧.
(٩١) القيامة: ١٤ – ١٥.
(٩٢) الاسراء: ١٤.
(٩٣) يس: ٦٥.
(٩٤) النور: ٢٤.
(٩٥) فصلت: ٢١.
(٩٦) الاسراء: ٣٦.
(٩٧) تفسير نور الثقلين ٥:١١٢.
(٩٨) الجاثية: ٢٨ – ٢٩.
(٩٩) الكهف: ٤٩.
(١٠٠) الفرقان: ٣٠.
(١٠١) مجمع البيان ٧:٣١٢.
(١٠٢) بحار الانوار ٧:٢٢٢.
(١٠٣) الكافي ٢:٤٣٦/١.
(١٠٤) نورالأبصار للشبلنجي: ٩٠.
(١٠٥) بحار الأنوار ٤٣:٢١٩
(١٠٦) بحار الأنوار ٤٣:٢٢٠
(١٠٧) بحار الأنوار ٧:٢٢٢.
(١٠٨) بحار الأنوار ٨٣: ٣٨٤
(١٠٩) التهذيب ٣:٢٥٥/٧٠٦.
(١١٠) ثواب الأعمال وعقابها: ٣٤٣.
(١١١) بحار الأنوار ٨٣:٣٨٥
(١١٢) الكافي ٢:٤٤٩/٣
(١١٣) الخصال: ١٧٤/ ٢٣٢.

(١١٤) الكافي ٢:٤٤٩/٣.

تساؤلات وردود حول المعاد

(١) الانبياء ٤٧.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) بتصرف عن التفسير الموضوعي للقرآن ٥:٣٠٠.

(٤) الزمر: ٦٥.

(٥) الجرات: ٢.

(٦) التوبة: ١٧.

(٧) الزلزلة: ٧ – ٨.

(٨) الزلزلة: ٧.

(٩) الزلزلة: ٧ – ٨.

(١٠) كشف المراد: ٣٩٠.

(١١) القصص: ٧٨.

(١٢) الرحمن: ٣٩.

(١٣) القصص: ٧٦ – ٧٨.

(١٤) بحار الأنوار ٨:١٩.

(١٥) راجع بحار الأنوار ٨:١٨.

(١٦) راجع مجمع البيان في تفسير القرآن عند تفسيره لهذه السورة.

(١٧) أمالي المفيد: ١٧٦.

(١٨) أمالي الصدوق: ٢٧٢.

(١٩) أمالي المفيد: ١٢٤.

(٢٠) قال الشيخ الصدوق في العقائد: اعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان، وأن النبيﷺ قد دخل الجنة ورأى النار حين عُرج به.

(٢١) النجم: ١٣ – ١٥.

(٢٢) التوبة: ٨٩.

(٢٣) التوبة: ١٠٠.

(٢٤) آل عمران: ١٣١.

(٢٥) التكاثر: ٥ – ٦.

(٢٦) رجالالكشي: ٣٤٢.

(٢٧) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١:٢٤٦.

(٢٨) بحار الأنوار: ٨: ١١٩.

(٢٩) صفات الشيعة: ٥٥.

(٣٠) بحار الأنوار: ٤٣: ٢٢٦.

(٣١) النحل: ٩٣.

(٣٢) التكاثر: ٨.

(٣٣) مجمع البيان ١٠: ٥٣٥

(٣٤) عيون أخبار الرضاعليه السلام ١ك٢٢٣

(٣٥) الاسراء: ٣٦.

(٣٦) العنكبوت: ١٣.

(٣٧) الزخرف: ١٩.

(٣٨) التكوير: ٨ – ٩.

(٣٩) أمالي الطوسي ١:٢١٨، الخصال: ٣٣١.

(٤٠) جامع الأخبار: ١٤٥.

(٤١) بحار الأنوار ٧:٢٧٧.

(٤٢) بحار الأنوار: ٢٦١:٧.

(٤٣) بحار الأنوار: ٢٦٦:٧

(٤٤) الصافات: ٢٤.

(٤٥) الصافات: ٢٤.

(٤٦) نور الثقلين٤:٤٠١.

(٤٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧.

(٤٨) الانشقاق: ٧ – ١١.

(٤٩) الحاقة: ١٨ – ٣٧.

(٥٠) الحجر: ٤٣ – ٤٤.

(٥١) راجع الموعظ العددية: ٢٠٦ والخصال في باب الثمانية فقد ورد ذلك عن الإمامين علي والباقرعليهما السلام.

(٥٢) بحار الانوار ٨ :٢٥٤.

(٥٣) يدعـو الإمـام السـجادعليه السلام بعـد صـلاة الليل بهذا الدعـاء: اللهـم اني أعوذ بك مـن نار تغلظت بهـا على من عصـاك، وتوعـدت بها من صدف عن رضاك، من نار نورها ظلمـة، وهينها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يـأكل بعضهـا بعضهاً، ويصلو بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميماً، وتسـقي أهلها جميعاً، ومن نار لا تُبقي على من تضرع اليها، ولا ترحم من اسـتعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشـع لها، واستسـلم

اليها، تلقي سـكانها بأحر ما لديها من أليم النكال، وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها، وحيّاتها الصالقة بأنيابها، وشرابها الذي يقطع أمعاء وأفئدة سكانها، وينزغ قلوبهم.

(٥٤) راجع أيضا بحار الأنوار ٨: ٢٤٦.

(٥٥) بحار الأنوار ٨:١١٦ – ١١٧.

(٥٦) منهاج البراغة في شرح نهج البلاغة ٣: ٩٩٥.

(٥٧) بحار الأنوار ٨:١٢١.

(٥٨) بحار الأنور ٩٣: ٢٥٢.

(٥٩) المواعظ العددية: ٢٠٦.

شواهد وشواخص وعلامات متصلة بالمعاد ومتفرّعة عنه

(١) محمد: ١٨.

(٢) القمر: ١.

(٣) الدخان: ١٠ – ١١.

(٤) قال الشـيخ المفيد رحمه الله تعالى في الارشـاد (٢: ٣٨٧): وأكثر الروايات انه لن يمضي مهدي هذه الأمة عليه السلام إلا قبـل القيامة بأربعين يوماً، يكون فيها الهرج وعلامة خروج الأموات، وقيام السـاعة للحسـاب الجزاء، والله تعالى أعلم بما يكون.

(٥) بحار الأنوار ٥٢:٢٠٩.

(٦) الاحقاف: ٣.

(٧) لقمان: ٢٩.

(٨) فاطر: ١٣.

(٩) الزمر: ٥.

(١٠) التكوير: ١ – ٦.

(١١) الانفطار: ١ – ٤.

(١٢) المزمل: ١٤.

(١٣) الطور: ٩ – ١٠.

(١٤) الحاقة: ١٣ – ١٥.

(١٥) القارعة: ١ – ٥.

(١٦) المعارج: ٨ – ٩.

(١٧) القيامة: ٧ – ٩.

(١٨) ابراهيم: ٤٨.

(١٩) الزلزلة: ١ – ٢.
(٢٠) الكهف: ٤٧.
(٢١) الأنعام: ٧٣.
(٢٢) الكهف: ٩٨ – ٩٩.
(٢٣) الزمر: ٦٨.
(٢٤) المؤمنون: ١٠١.
(٢٥) النمل: ٨٧.
(٢٦) يس: ٥١.
(٢٧) ق: ٢٠.
(٢٨) النبأ: ١٨.
(٢٩) الزمر: ٦٨.
(٣٠) لآلئ الأخبار ٥:١٥٣.
(٣١) تفسير القمي: ٣٨٩.
(٣٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٥.
(٣٣) النمل: ٨٧.
(٣٤) الزمر: ٦٨.
(٣٥) الزمر: ٦٨
(٣٦) الصافات: ١٩.
(٣٧) النبأ: ١٧ – ١٨
(٣٨) الكهف: ٩٩.
(٣٩) الاعراف: ٤٤ – ٤٩.
(٤٠) الحجر: ٧٥ – ٧٦.
(٤١) تصحيح الاعتقاد: ٥٨.
(٤٢) الحديد: ١٣.
(٤٣) راجع مجمع البيان في تفسيره لهذه الآيات المباركة.
(٤٤) الكافي ١:٤٢٢
(٤٥) الميزان في تفسير القرآن ٨:١٣٠.
(٤٦) الميزان في تفسير القرآن ٨ – ١٢٦.
(٤٧) بحار الأنوار ٨:٢٣٥.
(٤٨) لخصال: ٢٢٨

(٤٩) مجمع البيان ٥: ١٧٩.

(٥٠) الشعراء: ١٠٠ – ١٠٢.

(٥١) تفسير القمي ٢:٢٠٦.

(٥٢) كالأنبياء، والأئمة، والشهداء، والعلماء والصالحين.

(٥٣) راجع: النهاية لابن الأثير ٢:٤٨٥.

(٥٤) المدثر: ٤٨، مثل ذلك في الآية ٤٨ و٢٥٢ من سورة البقرة.

(٥٥) السجدة: ٤، وكذا بمضمون ذلك في الآيات: ٤٤ من سورة الزمر، و٥١ و٧٠ من سورة الأنعام.

(٥٦) البقرة:٢٥٥

(٥٧) الانبياء: ٢٨.

(٥٨) الزخرف: ٨٦.

(٥٩) المدثر: ٣٨ – ٤٨.

(٦٠) الأنعام: ٧٠.

(٦١) البقرة: ٢٥٤

(٦٢) طه: ١٠٩

(٦٣) الزخرف: ٨٦.

(٦٤) مريم: ٨٧.

(٦٥) كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ٣٩، ١٦٢، ٢٥٧، آل عمران: ١١٦، الرعد: ٥، التوبة: ٦٨، الاحزاب: ٦٥، الحشر: ١٧، وغير ذلك.

(٦٦) راجع: البقرة: ٢١٧، آل عمران: ٨٦ – ٨٨.

(٦٧) انظر: التوبة: ١٧، الانبياء: ٩٨ – ٩٩، البينة: ٦.

(٦٨) البقرة: ٢٧٥.

(٦٩) راجع: النساء: ١٤، التوبة: ٦٣.

(٧٠) راجع: الأعراف: ٣٦، طه: ٩٩ – ١٠١، غافر: ٧٠ – ٧٦، السجدة: ١٤.

(٧١) كما في التوبة: ٦٨، المجادلة: ١٤ – ١٧.

(٧٢) النساء: ٩٣.

(٧٣) يونس: ٥٢، النحل: ٢٨ – ٢٩.

(٧٤) الزخرف: ٧٤.

(٧٥) المؤمنون: ١٠٣.

(٧٦) بحار الأنوار ٨:٥٨.

(٧٧) بحار الأنوار: ٢٤١:٨٤.

(٧٨) تيسير المطالب: ٤٤٢.
(٧٩) بحار الأنوار ٨٤: ٣٤.
(٨٠) المناقب لابن شهر آشوب ٢:١٤.
(٨١) بحار الأنوار ٨:٥٩.
(٨٢) الخصال: ١٤٢، سنن ابن ماجه ٢:١٤٤٣/ ٤٣١٣.
(٨٣) بحار الأنوار ٨:٣٧.
(٨٤) بحار الأنوار ٨:٦٥.
(٨٥) مسند أحمد ٢:١٧٤.
(٨٦) عرر الحكم: ٢٧١.
(٨٧) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.
(٨٨) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧١.
(٨٩) مريم: ٧١.
(٩٠) تفسير القرطبي في تفسير هذه الآية.
(٩١) الفجر:١٤.
(٩٢) ثواب الأعمال: ٢٦١
(٩٣) الفجر: ١٤.
(٩٤) تفسير البرهان ٤:٤٥٨.
(٩٥) البلد: ١١.
(٩٦) بحار الأنوار ٨ :٦٦
(٩٧) معاني الأخبار: ١٣
(٩٨) آمالي الصدوق، المجلس ٣٣.
(٩٩) معاني الأخبار: ١٤.
(١٠٠) اصول الكافي ٢:١٥٢
(١٠١) الاعراف: ٨ -٩.
(١٠٢) الانبياء: ٤٧.
(١٠٣) القارعة: ٦ - ١١
(١٠٤) تفسير نور الثقلين ٢:٥.
(١٠٥) تفسير البرهان ٣:٦١، اصول الكافي ١:٤١٩.
(١٠٦) كما في سورة الأعراف: ٨ - ٩، المؤمنين ١٠٢ - ١٠٣، القارعة: ٦ - ٨.
(١٠٧) سنن الترمذي ٤:٣٦٣

(١٠٨) نور الثقلين ٥:٦٥٩

(١٠٩) اصول الكافي: ٢: ٤٨٠/ ١٥،

(١١٠) الزخرف: ٨٠.

(١١١) يس: ١٢.

(١١٢) القمر: ٥٣.

(١١٣) ١ التكوير: ١٠.

(١١٤) الكهف: ٤٩.

(١١٥) الحاقة: ١٩ – ٢٦.

(١١٦) المطففون: ٧ – ٢١.

(١١٧) لاستاذنا العلامة المرحوم الطبطبائي رحمه الله تعالى تعرضاً لهذا البحث في كتابه النفيس الميزان في القرآن (٣: ٣٨)

(١١٨) الاسراء ١٣ – ١٤.

(١١٩) الجاية: ٢٨ – ٢٩.

(١٢٠) الكهف: ٤٩.

(١٢١) سنن الترميذي ٤:٦١٧/ ٢٤٢٥.

(١٢٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:٢٥٥.

(١٢٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١٤.

(١٢٤) بحار الأنوار ٨:٣١٨.

(١٢٥) الكهف: ٤٩.

(١٢٦) بحار الأنوار ٧:٣١٥.

(١٢٧) بحار الأنوار ٧:٣٢٥.

(١٢٨) تفسير الصافي ٤:٣٧٢.

(١٢٩) راجع التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ٦:١٠٥.

(١٣٠) البقرة: ٣٩.

(١٣١) المائدة: ٣٦ – ٣٧.

(١٣٢) كما في سورة البقرة: ١٦٧، هود: ١٠٦، الزخرف: ٧٧.

(١٣٣) كما في سورة النساء: ١٦٩، المائدة: ١١٩، التوبة: ٢٢ و١٠٠، الاحزاب: ٦٥، التغابن: ٩، الطلاق: ١١، الجن: ٢٣، البينة: ٨.

(١٣٤) يراجع كتاب العدل الالهي للشهيد المطهري رحمه الله تعالى، فقد تعرض فيه لإيضاح اللبس الواقع في ما يُطرح من تساؤل حول هذا الموضوع.

أسماء يوم القيامة، والاثار المعنوية والتربوية المترتبة على الاعتقاد بمسألة المعاد

(١) القيامة: ١.
(٢) الأنبياء ٤٧.
(٣) المطففون:٦.
(٤) النبأ: ١٧.
(٥) غافر: ٥١.
(٦) الزمر: ٦٨.
(٧) النبأ: ١٣.
(٨) عبس: ٣٤ – ٣٦
(٩) الزمر: ٥٦.
(١٠) التغابن: ٩
(١١) الميزان ١٩:٣٠٠.
(١٢) غافر: ٣٢ – ٣٣.
(١٣) غافر: ١٥ – ١٦،
(١٤) المدثر: ٨ – ١٠.
(١٥) الدهر: ١٠.
(١٦) ق: ٢٠.
(١٧) الزخرف: ٦٥.
(١٨) النبأ: ٣٩.
(١٩) المؤمن: ١٨.
(٢٠) الأنبياء: ١.
(٢١) ق: ٣٤.
(٢٢) فصلت: ٢٨.
(٢٣) التغابن: ٩.
(٢٤) بلغ ذكر الآخرة في القرآن الكريم ١٤٠ مرة.
(٢٥) البقرة ١٧٧.
(٢٦) القصص: ٨٣.
(٢٧) الضحى: ٤.
(٢٨) الأعلى: ١٧.
(٢٩) نظر: الزخرف: ٨.

(٣٠) انظر: مريم: ٣٧.

(٣١) انظر: الروم:٦.

(٣٢) انظر: الإنسان: ١٠.

(٣٣) وهو من أشهر أسماء يوم القيامة، انظر مثلاً: ابراهيم: ٤١، ص: ١٦، ٢٦، ٥٣، غافر: ٢٧.

(٣٤) انظر: ق:٤٢.

(٣٥) الطارق: ٩.

(٣٦) غافر: ١٦.

(٣٧) النحل:١١١

(٣٨) بحار الأنوار ٦:١٣٣.

(٣٩) بحار الأنوار ٥٤:٢١٠.

(٤٠) بحار الأنوار: ٤٥:١٨٢.

(٤١) مناقب آل أبي طالب ٤:١٥٣.

(٤٢) التأثث: أبطأت في سيرها. مجمع البحرين: ٢:٢٦٢.

(٤٣) ارشاد المفيد ٢:١٤٤، مناقب آل أبي طالب ٤:١٥٥.

(٤٤) مناقب آل أبي طالب ٤:١٤٨.

(٤٥) الانفطار: ١٣ – ١٤.

(٤٦) الاعراف: ٥٦

(٤٧) الكهف: ١١٠.

(٤٨) المطففون: ١ – ٦.

(٤٩) البقرة: ٢٤٦ – ٢٥١.

(٥٠) طه: ٧٠ – ٧٦.

(٥١) الانسان: ٨ – ٢٢.

فهرس الموضوعات

القسم الأول
الدلائل المختلفة لإثبات المعاد

القسم الثاني
المعاد في القرآن الكريم والروايات الشريفة

القسم الثالث
تساؤلات وردود حول المعاد

القسم الرابع
شواهد وشواخص وعلامات متصلة بالمعاد ومتفرّعة عنه

القسم الخامس
أسماء يوم القيامة، والاثار المعنوية والتربوية المترتبة على الاعتقاد بمسألة المعاد

الهوامش

فهرس الموضوعات

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجة عليها السلام: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهدي عليه السلام: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن علي عليه السلام بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرى عليها السلام: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسين عليه السلام
٣٣ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه